ثقافات الشعوب





الأسد الطائر
حكايات شعبية من جنوب أفريقيا

جمع: جايمس آي. هوني
ترجمة: ناصرة السعدون

الأسد الطائر

حكايات شعبية من جنوب أفريقيا

جمع:
جايمس آي-هوني

ترجمة:
ناصرة السعدون







الأسد الطائر

حكايات شعبية من جنوب أفريقيا

فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

الأسد الطائر: حكايات شعبية من جنوب أفريقيا.

الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

GR350.H512 2010
Honeij, James Albert, 1880
[South African folk Tales]

الأسد الطائر: حكايات شعبية من جنوب أفريقيا/ جمع جايمس آي. هوني. ترجمة: ناصرة السعدون- ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2010.

144ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).

تدمك: 978-9948-01-320-4

ترجمة كتاب: South African folk Tales

1 - القصص الشعبية - جنوب أفريقيا. 2 - الحكايات-جنوب أفريقيا. أ- السعدون، ناصرة. ب- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبو هواش

إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان



info@kalima.ae
www.kalima.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+



www.adach.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

المحتويات

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها – مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة – تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

تقديم

نأمل أن يجد القراء في أمريكا في هذه الحكايات القيمة نفسها التي يوليها لها أصحابها من سكان جنوب أفريقيا. وقد ظهر العديد من هذه الحكايات في مجموعات إنجليزية قبل 1880، وتُرجم بعضها عن اللغة الهولندية[1]، وكُتب بعضها استناداً إلى ذكريات الطفولة. وبالنتيجة، فهي لا تزعم الأصالة أو الفرادة. وقد حرصت كل الحرص خلال جمعها على عدم التضحية بالقيمة العلمية لصالح الصياغة أو البنية، وفي جميع الأحوال هي أقرب ما يمكن للأصل بقدر ما تسمح به الترجمة من اللغة الأصلية إلى لغةٍ أخرى. وهي كلها حكايات شعبية من جنوب أفريقيا، أغلبها من قبيلة «البشمن»[2]. وبعضها أشكال

(1) أنشأ الهولنديون، وتحديداً «شركة شرق الهند الهولندية» منذ منتصف القرن السادس عشر معسكرات في جنوب أفريقيا وذلك لكي تكون بمثابة أماكن استراحة لسفنها خلال رحلات اتجارها باتجاه الشرق وعودتها من هناك، وعلى الرغم من الطابع الاقتصادي غير المقصود منه التوسع لهذا الوجود الهولندي فإنه يبقى شكلاً من أشكال الاستعمار (م).

(2) يشرح صاحب المقدمة عنهم لاحقاً لكن بعض العلماء يجد أن هذه القبيلة كانت موجودة قبل نحو أربعين ألف عام، وقد كانت تعتاش من الصيد بصورة خاصة، لتنتقل في العام 5000 ق. م إلى رعي المواشي (م).

محرفة عن حكايات أصلية لهذه القبيلة، لكنها أخذت عنها عن طريق قبيلتي الهوتنتوت أو الزولو، كما أخذ القليل منها عن الهولنديين. ويتضح في أغلب هذه المذكورة أخيراً التأثير الأوروبي، خاصة الفرنسي.

وقد ظهر بعض قصص الحيوانات المتضمن في هذا الكتاب في مجلات أمريكية بتوقيع الكاتب، لكن هذه هي المرة الأولى التي تظهر على شكل مجموعة كاملة مذ نشر دكتور بليك[1] قصصه في 1864. وكان الهدف هو فصل الحكايات عن تلك التي تحمل رموزاً أسطورية أو دينية، بشكل خاص، لجعلها مجموعة قصص حيوانات ليس فيها أي ظهور للإنسان.

هناك عدة صيغ للحكاية نفسها، وكلما أمكن ذلك توضع هذه بحسب ترتيب أهمية علاقتها بالأصل. ولا يزعم الكاتب كونه مرجعاً بفلكلور جنوب أفريقيا، بل كونه ولد هناك ومهتماً بما نبع من بلاد الشمس الساطعة[2]. ويصعب تتبع أصل هذه الحكايات، إذ ليس ثمة بلد آخر فيه هذا الكم من الأعراق المتميزة والبدائية التي تتعايش معاً.

---

(1) فيلهلم هاينريش إيمانويل بليك (1827–1875): ألسني ألماني اختص بلغات جنوب أفريقيا وفلكلورها (م).

(2) تعرف جنوب أفريقيا بأنها تظل مشمسة طوال العام، وهذا يجعلها من البلدان التي تعاني الجفاف بشدة، وهو ما يظهر في بعض هذه الحكايات (م).

يبدو أن البشمن يعودون بجذورهم إلى بدايات أيام المصريين، حين ظهرت صور الأقـزام على أضرحة الملوك وكانوا عرقاً متميزاً. منذ ذلك الحين وحتى الآن كان مصدر فخرٍ لهم القول إنهم بشرٌ وجدوا قبل أن يتكون الإنسان، أي بشكل أوضح، قبل أن يسكن أفريقيا أيٌّ من الأعراق الأخرى. وكما يبين بعض هذه القصص عن البشمن، فأيّ من الأعراق، لم يترك بصماته في الفلكلور؟ وهم بحسب ستو[1]، كانوا عرقاً بدائياً جوالاً من البشر قصار القامة، ممن يمارسون الرسم والنحت والصيد وتربية الماشية، وممن لديهم قدرة رائعة على التفكير والتأقلم، مع إحساس قويّ بالعدالة والكثير من الكبرياء.

ويتخذ بعض هذه الحكايات مسحة أسطورية، ويصعب الجـزم ما إذا كان ذلك بتأثير «الهوتنتوت»، وهم عرق متأخر. أخيراً سيطرت قبيلة «الكافير» على جميع أرجاء جنوب أفريقيا، ولكنهم كانوا متخلفين. وتبين التأثيرات المختلفة التي انطبعت بها هذه الحكايات قبل وصولها إلينا، مدى إمكانية التوصل إلى نتائج خاطئة فيما يتعلق

(1) ليس هناك الكثير من المعلومات المتوافرة عنه سوى إن اسمه جورج ستو وكان باحثاً وشاعراً ورساماً عاش في جنوب أفريقيا في منتصف القرن التاسع عشر (م).

بأصل حكايات الحيوان المقدمة هنا. ويرى بليك تجانساً أعظم بين عقل الهوتنتوت والعقل الغربي أكثر مما بين هؤلاء وبقية الأعـراق السود في أفريقيا. ويصعب القول ما إذا كان ذلك يشير إلى الأصل الأوروبـي للخرافات. إذ مما لا شك فيه أن البشمن قد جاؤوا من الشمال وكانوا العرق البدائي في أفريقيا الجنوبية والاستوائية، أولئك الأقزام الذين ذكرهم ليفينغستن وستانلي[1] وغيرهما من المستكشفين. بالنظر لقدم هذا العرق، لابد من الاستنتاج أنه إذا كانت هذه الحكايات غير أصلية لدى البشمن، فهي في الأقل قد حورت لكي تشبه المصرية، أو الفينيقية أو أي عرق آخر قديم ربما كان لدى البشمن اتصال به. وصف هيرودوت[2] عرقاً ينتشر في النيل الأعلى يتطابق مع الوصف المتأخر للبشمن في أفريقيا الاستوائية والجنوبية.

أتفق مع ما جاء في مجلة «ساوث أفريكان فولكلور» منذ عشرين عاماً أو أكثر، أنه مع «الخطوات العريضة التي تخطوها جنوب أفريقيا في مضمار التقدم الحضاري،

(1) ديفيد لينفغستن (1813-1873) وهنري مورتن ستانلي (1841-1904): الأول مستكشف اسكتلندي والثاني ويلزي التقيا في جنوب أفريقيا في أوساط القرن التاسع عشر (م).

(2) مؤرخ إغريقي عاش في القرن الخامس ق. م (م).

فسوف يتم اجتياح الأعراق المحلية أو تحويلهم لكي يفقدوا الكثير من عاداتهم القديمة، وتقاليدهم وأعرافهم أو في الأقل لكي تتطور هذه كلها».

لمعرفتي أن جمع هذا الصنف من الحكايات سوف يحافظ عليها بأفضل ما يمكن، ولشعوري أنها لم تُقرأ بعد، بدأتُ هذه المجموعة منذ عشر سنوات. هناك الكثير مما تم القيام به للمحافظة على فلكلور البشمن، مما يشعرني أن هذا الكتاب الصغير ليس إلا إضافة بسيطة لعالم الفلكلور.

«فلكلور جنوب أفريقيا هو»، كما ذكرت مجلة ساوث أفريكان فلكلور، «بسيط بطبيعته، وبدائي في بساطته، لا تزخرفه ثروات القصور والأحجار الثمينة لكي يمكنه الوقوف في مواجهة فلكلور الأمم المتحضرة، إلا أنه وصفيٌّ إلى حد بعيد لأحداث الحياة اليومية، بين حضارات الدول الواطئة، باستثناء الإثباتات على القيم الأخلاقية، والتصوير المرتبط مع الظواهر الطبيعية، لا يمكن توقع العثور على ما هو عظيم أو بديع فيها».

وقد قدم باين[1] حكايةً نقلها عن «الكافير» تبين «توزيع الحيوانات بعد خلقها». لم تصبح هذه الحكاية خالصة بالكافير إلا بعد اتصال هؤلاء بالأوروبيين خلال القرنين الاثنين أو الثلاثة قرون الماضية. مع ذلك، تفيد الحكاية في تصوير الشعب الذي نقلت عنه الحكايات في هذا الكتاب، كما في اختتام هذه المقدمة:

تيكو، عند الكافير، هو الكائن الأعلى. لدى تيكو توصيف لكل الأصول والملكيات.

خلق ثلاث أمم، البيض، الأماكوسا أو الكافير، والأمالوو أو الهوتنتوت. تحدد يوم لهم للظهور أمام تيكو لاستلام ما قد خصصه لكل قبيلة. أثناء تجمعهم، جاء عصفور العسل، أو دليل العسل، طائراً، فركض وراءه جميع الهوتنتوت، يصفرون ويصدرون أصواتاً غريبة، اعتادوا إصدارها عند لحاقهم بهذا الطير الصغير البديع. وبخهم تيكو على سلوكهم، لكن بلا جدوى. لهذا أنكرهم بوصفهم عرقاً متشرداً عليهم العيش على الجذور البرية وجعة العسل، لا يملكون أي خزين من الحيوانات قط.

(1) على الأرجح هو جايمس تومسون باين (1860–1919): وهو اشتراكي من أصل اسكتلندي عاش في كايب تاون بجنوب أفريقيا وكان ناشطاً في الحياة السياسية هناك (م).

حين تم جلب القطيع البديع من الماشية، تحمس الكافير جداً -صاح أحدهم: «هذه البقرة السوداء والبيضاء لي!». وصاح آخر: «تلك البقرة الحمراء والثور الأسود لي!»، وهكذا حتى نفد صبر تيكو من صراخهم وسلوكهم غير المنضبط، حتى أنكرهم وجعلهم أمةً قلقة لا تملك إلا الماشية.

انتظر البيض بصبر حتى تسلموا ماشيةً وخيلاً وخرافاً وجميع أشكال الملكية. من ذلك قال قدماء الكافير: «لديكم أنتم البيض كل شيء. وليس لدينا نحن الكافير إلا الماشية، في حين أن الأمالوو أو الهوتنتوت ليس لديهم أي شيء».

جايمس آي. هوني

كمبريدج، ماساتشوستس، يونيو 1910

أصل اختلاف أنماط الحياة بين الهوتنتوت والبشمن[1]

في البداية كان هناك اثنان: أعمى[2] وصيّاد.

اكتشف الصياد حفرة في الأرض تخرج منها الحيوانات المفترسة وتفتك بالصغار[3]. وقد ذهب الأعمى إلى هذه الحفرة، وجعل يتشمّم الحيوانات ويتحسّسها، ثم قال: «هذه ليست حيوانات مفترسة تصاد، بل ماشية تُربّى».

فيما بعد استعاد الأعمى نظره، وذهب مع الصياد إلى تلك الحفرة، ورأى أنها بقر مع عجولها. فسارع إلى بناء «كرال» (سور من الأشواك) حولها، ثم طلا وجهه بالمرهم[4]، مثلما ما

(1) الهوتنتوت والبشمن: قبائل تشكل سكان جنوب أفريقيا عند أول قدوم المستعمرين الغربيين إلى البلاد (م).

(2) ليس واضحاً هنا لماذا الرجل أعمى، لكن ربطاً بفكرة أن الهوتنتوت يعيشون من رعي الأنعام والزراعة لا من صيد الحيوانات، فربما كان الرجل أعمى لهذا السبب، لأن الصيد يحتاج إلى بصيرة أما حالة العمى فتلزم صاحبها بعدم التجوال، في أي حال لعلّ هناك إشارة إلى أن العرقين أو القبيلتين، أي الهوتنتوت والبشمن كانا عرقاً أو قبيلة واحدة قبل أن يتفرقوا على النحو الموصوف (م)

(3) ليس مفهوماً هنا المقصود بالصغار، هل هم صغار البشر أم الحيوانات، خصوصاً وأن الحكاية تدور عن أصل عرق البشمن، وبالتالي توحي أن هذين الرجلين هما الرجلان الأولان. بالتالي الأرجح أن يكون المقصود صغار البشر (م).

(4) اعتاد الهوتنتوت على طلاء وجوههم بمرهم يحضّرونه من مواد عشبية يقومون بغليها

زال الهوتنتوت (ممن يعيشون على طريقة آبائهم) يفعلون إلى يومنا هذا.

حين جاء الآخر، ورأى ذلك أراد أن يدهن وجهه بالمرهم أيضاً لأنه بات يجد صعوبة في العثور على الطرائد. فقال له الآخر ناصحاً: «اسمع، عليك أن تغلي المرهم على النار، وبعد ذلك تدهنه».

فعمل الآخر بنصيحته، وإذا بوجهه يشتعل بصورة رهيبة؛ فكان سعيداً بالفرار من المكان. لكن الآخر ناداه: «خذ معك هذه الكيري (العصا) واهرع إلى التلال حيث يمكنك هناك صيد العسل[1]».

وهكذا نشأ عرق البشمن.

حتى تصير مسحوقاً قابلاً للدهن، وهذا لمساعدتهم على احتمال حرّ الشمس، ولهذا فإن وجوههم ليست بسوداء بل هي إلى السمرة أقرب، ولعلّ في الشرح الذي نجده لاحقاً عن احتراق وجه البشمن بالمرهم إشارة إلى فرق اللون بين وجوه الهوتنتوت والبشمن، إذ إن الأول أسمر والثاني أحمر (بفعل الاحتراق) (م).

(1) المعنى غير واضح هنا، لكن الأغلب أن المقصود هنا السخرية من الرجل بسبب غبائه وبالتالي فهو ليس أهلاً لأن يكون صياداً (م).

الرسالة الضائعة

لدى النملة أعداء منذ قديم الزمان، ولأنها صغيرة مدمرة، فقد تعرضت للكثير من المجازر. ولا تناصبها أغلب الطيور العداء فحسب، بل إن آكل النمل لا يقتات إلا عليها، وتهاجمها حشرة أم أربع وأربعين في كل زمان ومكان وفي كل فرصة سانحة.

لهذا ارتـأى بعض النمل ضرورة عقد اجتماع للتشاور حول إمكانية التوصل إلى تدبير ما يحميهم من مهاجمة الطيور والحيوانات المفترسة لهم.

لكنهم اختلفوا في الرأي، وعجزوا عن التوصل إلى قرار.

ونشأ نقاش حاد بين أنـواع النمل المختلفة: النمل الأحمر والأسود والرمادي، ونمل الأرز، وهزاز الذيل، والعديد من الأصناف الأخرى، واستمر مدةً طويلة من دون التوصل إلى نتيجة.

اقترح بعضهم اللجوء إلى حفرة في الأرض، والعيش فيها، وأرادت فئة أخرى مسكناً واسعاً متيناً مبنياً فوق الأرض لا

يستطيع سواها الدخول إليه، في حين اقترحت فئة ثالثة اتخاذ الأشجار مسكناً، للتخلص من آكل النمل، ناسية تماماً أنها تصبح بذلك صيداً سهلاً للطيور. أما الفئة الأخيرة من النمل فارتأت ضرورة أن تحصل على أجنحة تمكنها من الطيران.

لم تصل هذه المداولات لشيء، فقررت كل فئة التصرف وفقاً لقناعاتها وعلى مسؤوليتها الخاصة.

عمل أفراد كل من هذه الفئات بتكافل وتضامن يندر إيجاد مثيل له في أي مكان في العالم، وقاموا بتوزيع العمل فيما بينهم وفقاً لقواعد صارمة، جعلتهم جميعاً يؤدّون أدوارهم بانتظام وجودة، وحرصاً على إدارة العمل وإتمامه بأكبر سلاسة ممكنة فقد اختاروا من بينهم ملكاً.

لكن كل مجموعة فعلت ذلك بطريقتها الخاصة، و لم يفكر أيٌّ منهم بحماية نفسه من هجمات الطيور وآكلي النمل.

فبنى النمل الأحمر بيته فوق الأرض وعاش تحته، لكن آكل النمل دمّر في دقيقةٍ واحدةٍ ما كلفهم أياماً من العمل المضني. وعاش نمل الرز تحت الأرض، ولكن لم يكن مصيرهم أفضل من ذلك. إذ كلما خرجوا، ينقض عليهم آكل النمل ويفترسهم

جميعاً. والتجأ النمل هزاز الذيل إلى الأشجار، لكن هناك كثيراً ما تجلس أم أربعة وأربعين بانتظارهم، أو تلتهمهم الطيور. وأراد النمل الرمادي حماية نفسه من الإبادة من خلال الهروب، لكن ذلك لم يفده بشيء، لأن السحالي والعناكب والطيور كانت أسرع منهم بكثير.

حين سمع ملك الحشرات أنهم لم يستطيعوا التوصل إلى اتفاق، أرسل لهم سر الاتحاد ورسالة العمل معاً. لكن لسوء الحظ اختار النحلة لحمل الرسالة، و لم تصل قط إلى النمل، لهذا ما زالوا حتى اليوم يجسدون عدم الاتفاق وبالتالي ما زالوا فريسة للأعداء.

القرد الموسيقار

أجبر الجوع والحاجة القرد يوماً على التخلي عن أرضه والبحث عن عمل بين الغرباء ليقيم أوده. كانت بصيلات النبات، وفول الأرض والعقارب والحشرات وما ماثلها قد استنفدت تماماً في أرضه. لكن لحسن الحظ عثر على ملجأ موقت، لدى أحد أعمامه، قرد إنسان الغاب[1]، الذي يعيش في منطقة أخرى من البلاد.

بعدما عمل لمدة معينة أراد العودة إلى وطنه، وتعويضاً عن عمله أعطاه عمه كمنجةً وقوساً وسهماً، وأخبره أنه بالقوس والسهم يستطيع إصابة كل من يريد وقتله، وبالكمنجة يستطيع إجبار أي شيء أو أحد على الرقص.

أول من قابله عند عودته إلى أرضه كان الذئب العجوز الذي أخبره بأخباره واشتكى له أنه منذ الصباح الباكر يحاول مطاردة غزالٍ، لكن دون جدوى.

عرض القرد أمامه عجائب القوس والسهم اللذين يحملهما

(1) الأورانغ أتن: أو السعلاة، ضرب من القردة الثديية (م).

على ظهره وأكد له أنه لو استطاع رؤية الغزال وحسب فسوف يصيده. حين أراه الذئب الغزال، كان القرد مستعداً للتصويب عليه، فسقط الغزال.

أكلا وجبةً طيبةً معاً، لكن بدلاً من أن يكون الذئب ممتناً، استولت عليه الغيرة وتوسل للحصول على القوس والسهم. حين رفض القرد إعطائهما له، بدأ يهدده بقوته المتفوقة، لذلك ما إن مر ابن آوى، حتى أخبره الذئب أن القرد قد سرق قوسه وسهمه. بعدما استمع ابن آوى لكل منهما، أعلن أنه غير مؤهل لتسوية القضية وحده، واقترح عرض الموضوع أمام محكمة الأسد والنمر وبقية الحيوانات. وقال إنه بينما تحسم القضية سيضع اليد على سبب الشجار، لكي يكون في مكان أمين. لكن ما إن حصل عليهما حتى بدأ يصطاد كل ما يؤكل في الجوار، لهذا مر زمن طويل من المذابح قبل أن يتفق القرد والذئب على عرض القضية في المحكمة.

كانت حجة القرد ضعيفةً، ومما زاد الأمور سوءاً، شهادة ابن آوى ضده. فقد تصور هذا أن تلك هي الطريقة الأسهل للاستحواذ على القوس والسهم من الذئب.

لهذا صدر الحكم ضد القرد. إذ كان يُنظر للسرقة على أنها

جريمة عظيمة يستوجب إعدام مرتكبه شنقاً.

كانت الكمنجة لا تزال معه، وحصل من المحكمة على آخر بادرة لطف ممكنة، حين سمحت له بالعزف عليها.

وكان القرد موسيقار زمانه، وقد جاءت الكمنجة السحرية لتضفي على عزفه المزيد من الروعة. هكذا، حين عزف أولى النغمات الراقصة للحن «الفجر»، بدأت تبرز في المحكمة مظاهر الحيوية والعفوية الغير معتادين، وقبل أن يتخذ العزف منعطفاً باتجاه «الفالس» الراقص كانت قد المحكمة كلها ترقص كالدوامة.

مرة بعد أخرى، أسرع فأسرع، انطلق لحن «الفجر» على الكمنجة السحرية، حتى بدأ بعض الراقصين، لشدة إرهاقهم، يقعون أرضاً، بالرغم من استمرار حركة أرجلهم. لكن القرد، وهو موسيقار متمرس، لم يسمع أو يرَ شيئاً مما يحدث حوله. بل ظلّ مسنداً رأسه بحبّ على آلته، مغمضاً عينيه تقريباً، وواصل العزف، ناقراً بقدمه لضبط التوقيت.

كان الذئب أول من صاح متوسلاً وقد انقطعت أنفاسه: «أرجوك، توقف، يا ابن عمي القرد! حباً بالله، أرجوك توقف!».

لكن القرد لم يسمعه. وظل يعيد معزوفة «الفجر» التي لا تقاوم مرة بعد أخرى.

بعد مدة، بدت مظاهر التعب على الأسد، وحين دار دورة أخرى راقصاً مع زوجته اللبوة الشابة، غمغم وهو يمر بالقرد: «كل مملكتي لك أيها القرد، إن توقفت عن العزف».

ردّ القرد: «لا أريدها، لكن ألغ الحكم وأعد لي قوسي وسهمي، وأنت أيها الذئب، اعترف أنك سرقتها مني».

صاح الذئب: «أعترف، أعترف!». في حين ألغى الأسد الحكم الذي أصدره.

قدّم القرد بضع مرات إضافية من العزف، ثم حمل قوسه وسهمه، وجلس عالياً على أقرب شجرة.

عندئذ، ومن شدّة خوفهم من عودته، سارع أفراد المحكمة وبقية الحيوانات وانتشروا في أصقاع جديدة من العالم.

النمر والكبش وابن آوى

كان النمر عائداً إلى بيته من الصيد ذات مرة، حين صادف من وراء سياج من الأشواك، كبشاً. و لم يكن النمر قد رأى كبشاً من قبل، فاقترب منه بتواضع وقال: «نهارك سعيد أيها الصديق! ما اسمك؟».

أجاب الآخر بصوته الأجش، وهو يضرب صدره بقائمته الأمامية: «أنا الكبش، فمن أنت؟».

«أنا النمر» رد الآخر، وقد استبدّ به الجزع الشديد، ثم استأذن الكبش للانصراف، وهرع إلى داره بأسرع ما استطاع.

كان ابن آوى يعيش في بيت واحد مع النمر، فذهب هذا الأخير إليه وقال: «يا صديقي ابن آوى، أكاد أموت خوفاً، فقد قابلت قبل قليل شخصاً رهيب المنظر، له رأس كبير وكث، وحين سألته عن اسمه رد بصوت مخيف: أنا الكبش».

صاح ابن آوى: «يا لحماقتك، كيف تترك مثل هذه القطعة من اللحم واقفة على قدميها؟ على أيّ حال سنذهب غداً لنأكله معاً».

في اليوم التالي خرجا إلى زريبة الكبش، وما إن لاحا على التل – وكان الكبش قد خرج لينظر إلى ما حوله ويستطلع أين يمكن أن يجد خضاراً تنفع لإعداد طبق لذيذ من السلطة – حتى رآهما فهرع إلى زوجته وقال لها: «أخشى أن هذا هو آخر أيامنا، لأن ابن آوى والنمر آتيان معاً لافتراسنا، ما العمل؟».

قالت الزوجة: «لا تخف، احمل الطفل واخرج به، واقرصه لكي يبكي كأنه جائع». فعل الكبش ذلك لدى قدوم العدوّين المتحالفين.

ما إن وقعت عينا النمر على الكبش حتى تملكه الخوف، ورغب بالعودة. لكن ابن آوى حسب حساب الأمر، فربط النمر برسن جلدي، وقال له: «هيا»، حين صاح الكبش بصوت مرتفع، وهو يقرص طفله: «أحسنت يا صديقي ابن آوى، أنك جلبت معك النمر لنأكله، فها أنت تسمع بكاء طفلي من شدّة الجوع».

مع هذه الكلمات المخيفة، لم يعد النمر يبالي بوعود ابن آوى في أن يدعه يذهب لحاله، وأن يطلق سراحه، وانطلق بأعظم الحذر، وجر ابن آوى وراءه فوق التل والوادي، عبر الشجيرات والصخور، ولم يتوقف لينظر وراءه حتى وصل – ومعه ابن آوى الذي بات شبه ميت – إلى داره. وهكذا نجا الكبش.

ابن آوى والضبع

كان ابن آوى يعيش على حدود المستعمرة، ورأى عربةً عائدةً من شاطئ البحر وهي محملة بالأسماك، فحاول القفز إلى العربة من الخلف، لكنه لم يستطع، ثم ركض أمامها واستلقى على الطريق متظاهراً بالموت. اقتربت العربة منه، وصاح قائدها للسائق: «خذ هذا الفرو لزوجتك!».

قال السائق: «لنرمه في العربة». فألقيا بابن آوى في داخلها.

واصلت العربة طريقها، طوال الليلة المقمرة، وطوال الوقت ظل ابن آوى يرمي السمك على الطريق، ثم قفز وقد ضمن جائزة عظيمة. بيد أن الضبع العجوز الغبي الذي كان ماراً على الطريق، أكل أكثر من حصته، فكنّ له ابن آوى الكثير الضغينة، فقال له: «يمكنك الحصول على الكثير من السمك أنت الآخر، إذا تمددت في طريق العربة مثلما فعلتُ، وبقيت ساكناً مهما حصل».

غمغم الذئب: «حسناً!».

هكذا، حين جاءت العربة التالية من البحر، تمدد الذئب على الطريق. صاح القائد: «ما أبشع هذا الشيء؟». وركل الضبع. ثم تناول عصا وضربه بها حتى أوشك على الموت، ذلك أنه التزم توجيهات ابن آوى، وظل ساكناً قدر المستطاع، ثم نهض وسار بصعوبة ليخبر ابن آوى عن سوء حظه، فتظاهر هذا بمؤاساته.

قال الضبع: «يا للأسف، ليس لي جلد جميل مثلك!»[1]

---

(1) المعروف أن لابن آوى فرو جميل في حين أن جلد الضبع كريه المنظر (م).

ابن آوى والذئب

ذهب ابن آوى والذئب وعملا أجيرين عند أحدهم. في منتصف الليل نهض ابن آوى ولطّخ ذيل الذئب بالشحم، ثم أكل ما تبقى في أرجاء المنزل. في الصباح افتقد الرجل الشحم، وسرعان ما اتهم ابن آوى بأكله. فقال الوغد: «انظر إلى ذيل الذئب، وسترى من هو اللص». فعل الرجل ذلك، ثم ضرب الذئب حتى أوشك على الموت.

الأسد وابن آوى والإنسان

حدث يوماً أن جلس الأسد وابن آوى يتحاوران في شؤون الأرض والدولة. ويجب القول إن ابن آوى كان أهم مستشار لملك الغابة، وبعد أن تحادثا عن تلك الأمور لمدة طويلة، أخذ الحوار اتجاهاً أكثر خصوصية.

بدأ الأسد يتباهى بقوته. وربما كان ابن آوى من شجعه على ذلك، إذ أنه متملق بطبيعته. لكن بدأ الأسد يبالغ، فقال له ابن آوى: «أنظر أيها الأسد، سوف أريك حيواناً يفوقك قوةً».

سارا معاً، وابن آوى يتقدّم الطريق، فقابلاً صبياً صغيراً.

سأل الأسد: «أهذا هو الرجل القوي؟».

ردّ ابن آوى: «كلا، فعليه أن ينتظر حتى يصير رجلاً أيها الملك».

بعد مدة صادفا شيخاً يسير محنيّ الرأس متعكزاً على عصا.

فسأل الأسد: «أهذا هو الرجل القوي الرائع؟».

كان الردّ: «ليس بعد، يا مليكي، لقد كان هذا رجلاً».

واصلا سيرهما لمسافة قصيرة، فمرا بصياد شاب، في ذروة فتوته، تصحبه زمرة من كلابه.

فقال ابن آوى للأسد: «تفضل يا مليكي، وبارز هذا الرجل، فإذا انتصرت، تكون بحق الأقوى بين الكائنات».

ثم شق ابن آوى طريقه باتجاه صخرة يستطيع منها مشاهدة المواجهة.

زأر الأسد وهو يتقدّم لملاقاة الرجل، لكنه حين اقترب هاجمته الكلاب. فلم يلتفت لها إلا قليلاً، إذ دفعها وشتتها في جميع الجهات بضربات قليلة من مخالبه. نبحت بأصوات عالية، بيد أنها سرعان ما تقهقرت باتجاه الرجل.

ثم أطلق الرجل أعيرة نارية أصابت الأسد في كتفه، لكنه لم يبالِ كثيراً بذلك. ثم استلّ الصياد سكينه الفولاذية، وطعنه بضع طعنات. فتراجع الأسد، تتبعه طلقات الصياد.

«حسناً، هل ما زلت الأكثر قوة الآن؟» كان هذا أول ما قاله ابن آوى حين عاد الأسد.

ردّ الأسد: «كلا يا ابن آوى، فليحتفظ هذا الشاب بالشهرة والتهليل. إذ لم أر مثله من قبل. في البداية هاجمني زهاء عشرة من حراسه. في الحقيقة لم يهمني أمرهم كثيراً، لكن حين تقدّمت منه لكي أسحق عظامه، بصق ونفخ النار عليّ، وكان أغلبها باتجاه وجهي، ومع ذلك لم تحرقني إلا قليلاً. وحين حاولت مرة أخرى أخرج من جسده أحد أضلاعه[1] وتسبّب لي بجروح بليغة حقاً إلى حد أني اضطررت إلى أن أولي الأدبار، وفي النهاية أرسل في إثر بعض كراته النارية الساخنة. كلا يا ابن آوى، أعطه اللقب».

(1) السكين (م).

مكافأة الدنيا

كان هنالك رجل لديه كلب، وطعن الكلب في السنّ إلى حدّ أن الرجل فكر بالتخلص منه. كان هذا الكلب قد خدمه بإخلاص شديد في صغره وشبابه، بيد أن العقوق هو مكافأة الدنيا، وأراد الرجل الآن التخلص منه. لكن الكلب العجوز الأخرس، استطاع إفشال خطة سيده، إذ قرر على الفور الرحيل من تلقاء نفسه.

بعدما سار مسافةً لا بأس بها قابل ثوراً كهلاً في إحدى المزارع.

سأله الكلب: «ما رأيك بالذهاب معي؟».

«إلى أين؟».

قال الكلب: «إلى أرض العجائز، حيث لا تزعجك المتاعب ولا يشوه العقوق أعمالك».

قال الثور: «حسناً، اعتبرني رفيقك».

سارا معاً وقابلا كبشاً.

أوضح له الكلب الخطة، وتحرك الجميع معاً، حتى صادفوا بالتتالي حماراً وقطة وديكاً وبطة.

واصل السبعة رحلتهم.

في وقت متأخر من إحدى الليالي وصلوا إلى منزل ورأوا من من خلال بابه المشقوق مائدةً عليها شتى أصناف الطعام اللذيذ، وبعض اللصوص يأكلون بنهم. لم تكن ثمة فائدة ترجى من طلب إذنهم بالدخول، ولكونهم كانوا جياعاً، فلابد من التفكير بحلّ آخر.

لهذا ركب الحمار فوق الثور، والكبش فوق الحمار، الكلب فوق الكبش، والقطة فوق الكلب، والبطة فوق القطة، والديك فوق البطة، وبصوت واحد أطلقوا أصواتهم المخيفة.

بدأ الثور بالخوار والحمار بالنهيق والكلب بالنباح والكبش بالثغاء والقطة بالمواء والبطة بالنقنقة والديك بالصياح، وكلهم من دون توقف.

خاف أولئك الذين في داخل البيت، فتجمدوا تماماً في أماكنهم، اختلسوا النظر من الباب الأمامي، فرأوا مشهداً غريباً. بعضهم تسلق حبالاً عبر الباب الخلفي، وقفز بعضهم الآخر من النافذة، وبعد هنيهة صار المنزل خالياً.

بعدها هبطت الحيوانات العجائز السبعة من بعضها، ودخلوا إلى المنزل، وأسكتوا جوعهم بالطعام اللذيذ.

لكن حين انتهوا، بقيت كمية كبيرة من الطعام، أكثر مما يمكنهم أخذه معهم لبقية رحلتهم، فقرروا البقاء هناك حتى اليوم التالي.

قال الكلب: «اسمعوني، لقد تعودت حراسة الباب الأمامي لبيت سيدي»، ثم تمدد ونام أمامه. وقال الثور: «أنا أقف وراء الباب»، وأخذ موقعه هناك. وقال الكبش: «سأذهب إلى العلّية»، وقال الحمار: «وأنا عند الباب الأوسط»، وقررت القطة: «أنا في المدفأة»، والبطة: «أنا في الباب الخلفي»: وقال الديك أخيراً: «سأنام على السرير».

بعد مدة أرسل زعيم اللصوص أحد رجاله ليعود ويرى إن كانت هذه المخلوقات قد غادرت المنزل.

اقترب الرجل بحذر شديد، وأنصت طويلاً، لكنه لم يسمع شيئاً، فاختلس النظر من النافذة، ورأى في المدفأة فحمتين ما زالتا مشتعلتين[1]، لهذا بدأ السير للدخول من الباب الأمامي.

هنا أمسك به الكلب من ساقه. فقفز إلى داخل المنزل، غير أن الثور كان مستعداً، فضربه بقرنيه، ورماه إلى العلية حيث استقبله الكبش ودفعه عن العلّية مرة أخرى. ما إن وصل إلى الأرض، حتى اتجه نحو الباب الأوسط، لكن الحمار أطلق نهيقاً رهيباً وفي الوقت نفسه رفسه بقوة دفعته ليقع في المدفأة، حيث قفز إليه القط وخدشه. ثم قفز خلال الباب الخلفي، وهنا أمسك البط بسرواله. وما إن ابتعد قليلاً حتى صاح الديك. وهكذا ركض بأقصى سرعته حتى أمكن سماع صرير الحصى في الظلام.

عاد اللص إلى رفاقه مقطوع الأنفاس ممتقع اللون.

«يا للرعب! يا للرعب» هذا كل ما استطاعوا فهمه منه في البداية، لكن بعد مدة أخبرهم:

«حين نظرت من النافذة رأيت في المدفأة جمرتين متوهجتين، وحين أردت الدخول من الباب الأمامي لكي أذهب وأرى، وقعت في فخ حديدي. قفزت إلى داخل المنزل،

(1) رأى عيني القط وهما تلمعان في الظلام فتصورهما فحمتين تشتعلان (م).

فأمسك أحدٌ ما بمذراة رمت بي إلى العلية، ومرة أخرى كان هناك أحد مستعد، فرماني إلى أسفل على الأربعة الآخرين. أردت الهرب من الباب الأوسط، لكن أحداً ما أطلق بوقاً، وضربني بمطرقة حتى لم أعرف أين وقعت، غير أنني استعدت الوعي بسرعة، فوجدت نفسي في المدفأة، وهنا انقض عليّ مخلوقٌ آخر وخدش عيني وأوشك على إخراجهما من رأسي. ثم هربت من الباب الخلفي، وأخيراً انقض أحدهم على قدمي بزوجٍ من ملاقط النار، وبينما أهرب مبتعداً صاح أحد ما من خارج المنزل: «أوقفوه، أوقفو–و–ه».

الأسد وابن آوى

ليس لأنه الأكثر مقدرة وتقدّماً في المنطقة، بل لأنه طالما أعطى هذه الفكرة عن نفسه - لهذا السبب اكتسب ابن آوى بين جيرانه اسم «الشخص التقدمي». فأولئك المحيطون به، ممن يتمتعون بأخلاق عالية، لم يرغبوا بإيذاء مشاعره، فأطلقوا عليه هذا اللقب، بدلاً من «الوغد الماكر» أو «المهذار مدعي الحكمة»، مثلما يصفه العديدون. وقد نال هذا لقب «الشخص التقدمي» لأنه يتحدث أغلب الوقت بالإنجليزية، بخاصة حين يتصور أن الحاضرين حوله لا يفهمونها، وأيضاً لأنه يستطيع على الدوام الوقوف بصورة مهيبة مثل قاض في المناسبات العامة.

وهو خطيب فصيح ذرب اللسان، خاصة حين يتحدّث عن تخلف الآخرين. ولكن تحت ذلك المظهر الكاذب، هو في حقيقته الأكثر جهلاً في المنطقة، إلا أن لديه سيطرة تامة على مكره الفطري، مما أتاح له ولمدة طويلة أن يمضي بحياته منتصراً بوصفه شخصاً عظيم القدرات.

ذات مرة، مثلاً، فقد ذيله في فخ حديدي. إذ حاول مراراً الوصول إلى قفص البط العائد للبوير[1]، ووضع العديد من الخطط الماكرة، لكنه حين عاد إلى وعيه، وجد نفسه جالساً أمام قفص البط وقد أطبق الفخ الحديدي على ذيله، والكلاب تقترب منه. حين أدرك ما يعنيه ذلك، استجمع كل شجاعته وحاول سحب ذيله الذي كان يتباهى به، لكنه وجده قد بُتر كله.

كان هذا ليجعله على الفور أضحوكة المنطقة كلها لو لم يفكر بخطةٍ ما. فدعا لعقد اجتماع لجميع بنات آوى، وجعلهم يقتنعون أن الأسد قد أصدر بياناً يكون بموجبه جميع بنات آوى من دون ذيول، لأن ذيولهم الجميلة كانت شوكةً في خاصرة الحيوانات الأقل حظاً.

بطريقته السلسة أخبرهم عن أسفه لامتلاك الملك الحق الهمجي بالتدخل في أمور رعيته. لكن هذه حقيقة الأمر، ولهذا فكر أنه كلما أسرع بتنفيذ الأمر كان الوضع أكثر أماناً. بالتالي بتر ذيله وهو الآن ينصح أصدقاءه بالقيام بالأمر نفسه. هكذا أصبح جميع بنات آوى وفي وقت واحد عديمي الذيل ولمدة طويلة. ثم نمت ذيولهم مرةً أخرى.

---

(1) البوير هم المستعمرون الهولنديون لجنوب أفريقيا وقد خاضوا حرباً شرسة مع الإمبراطورية البريطانية للسيطرة على أفريقيا (م).

في زهاء الوقت نفسه وظّف النمر ابن آوى كمدير للمدرسة. كان النمر في تلك الأيـام أغنى رجل في البلدات المجاورة، ولكونه قد عانى كثيراً بسبب أميته، فقد أراد لأطفاله الحصول على أفضل تعليم ممكن.

حصل ذلك بعد مدة قصيرة من عقد اجتماع، بين فيه ابن آوى أهمية التعليم، ففاتحه النمر وطلب منه المجيء لتعليم أولاده.

كان ابن آوى مستعداً تماماً للقيام بذلك. لم تكن تلك مهنته بالضبط، كما قال، إلا أنه سيقوم بها لتمضية الوقت ومن باب الصداقة التي تربطه بجاره. وكانت مزرعته ومزرعة النمر متجاورتين.

ولم يهتم النمر كثيراً بأن ابن آوى لا يحمل أي مؤهل دراسي ولا خبرة لديه في التعليم. وقال: «لا تمتدح طيبتي كثيراً يا ابن العم، فنحن نعرف جيداً. وأنا أفضل أن أئتمنك على ذريتي أكثر من أولئك الذين يسمون أنفسهم مديري مدارس، إذ هي رغبتي الخاصة، مثلما هي رغبة أمهم، أن يحصل أولادنا على تعليم تقدمي، لكي يصبحوا ذكوراً وإناثاً يمتلكون مثل قدراتك بما يجعلهم يشغلون المواقع التي يستحقونها في هذا العالم».

قال ابن آوى: «لدي شرطٌ واحدٌ يجب أن يكون واضحاً.

لن يكون مناسباً لي، بل من المحال، أن آتي هنا إلى مزرعتك لجعلها مدرسةً. في هذه الحالة سوف تتداعى مزرعتي، وهذا ما لا يمكنني السماح بوقوعه، ولن أستفيد بشيء».

رد النمر أن هذا ليس ضرورياً البتة. وبالرغم من محبته وزوجته للصغار، لكنهما يريان أنهم قد يحصلون على فائدة أكبر لو عاشوا البعض الوقت في بيت غريب عنهم.

ثم أخبره ابن آوى عن تربيته الخاصة على يد الذئب. تذكر كيف كان صغيراً حين أرسله والده بعيداً لكي يدرس مع الذئب. بالطبع، منذ ذلك الحين، مر بالعديد من المدارس، ولم يكن الذئب إلا معلمه الأول. ولم يدرك إلا في الأيام الأخيرة مدى الفائدة التي جناها من ذلك.

قال: «على الرجل أن يحني الغصين وهو ما يزال صغيراً، إذ ثمة وقت يكون فيه الطفل منفتحاً للتأثيرات كما يكون مطواعاً، مثلما هو بعمر أغلب أولادك الآن، وكنت أفكر كم ستكون حكيماً لو أرسلتهم بعيداً لمدة من الزمن».

وقال إن لديه، لحسن الحظ، غرفة في بيته تصلح أن تكون صفاً، ويمكن لزوجته أن ترتب بسهولة أمر إقامتهم، حتى لو اضطروا لتوسيع مسكنهم بشكل ما.

هناك وآنذاك تم الاتفاق. وتمت استشارة زوجة النمر بهذا الشأن أو ذاك، وفي اليوم التالي كان على الأطفال المغادرة.

قال ابن آوى: «تذكرت أمراً آخر، صغارك سبعة، وأنا لي أطفال أيضاً، وسيكون من الشاق علينا إطعامهم جميعاً، لذلك عليك أن ترسل كل أسبوع خروفاً سميناً. ولكي لا نعوق مسيرة تقدمهم، يجب على الأطفال التخلي عن فكرة قضاء العطل معك لبعض الوقت. وحين أتصور أنهم قد تعودوا بعض الشيء، سوف أخبرك، ثم يمكنك القدوم لأخذهم وفي الوقت نفسه تقوم بزيارة قصيرة، لكن ليس قبل ذلك الحين». وواصل القول: «كما أن من الأفضل ألا يروك في الفترة الأولى، لكن يمكن لزوجتك أن تأتي لتراهم كل يوم سبت، وسأقوم بكل ما عدا ذلك».

في اليوم التالي حصل صراخ وبكاء عند مغادرة الأطفال. لكن شرح لهم النمر وزوجته للأطفال أن ذلك لصالحهم وأنهم في يومٍ ما سوف يدركون ذلك، وأن والديهم يفعلانه من باب الحنان. وفي نهاية الأمر رحلوا.

حل فجر أول سبت، وفي وقت مبكر من ذلك الصباح كانت زوجة النمر في طريقها إلى مسكن ابن آوى، لأنها لم تتحمل مزيداً من التأخير.

كانت لا تزال بعيدةً حين رآها ابن آوى. وبما أنه حريص على تقاليد الجيرة، فقد خرج لملاقاتها.

وبعد تبادل التحية، كان أول سؤال للسيدة نمرة هو: «حسناً، يا ابن العم ابن آوى، كيف يسير كل شيء مع فريق الصغار؟ هل هم مستقرون وطيبون وسعداء، ولا يزعجونك كثيراً؟».

ردّ ابن آوى بحماسة: «أوه، يا إلهي، كلا سيدة نمرة، لكن يجب ألا نتحدث بصوت مرتفع، لأنهم إن سمعوا صوتك، فمن المؤكد أن يسبب ذلك الكثير من الدموع كما قد يرغبون بالعودة معك فيكون كل جهدنا قد أهدر بلا جدوى».

قالت السيدة نمرة، مضطربة بعض الشيء: «لكني أرغب برؤيتهم يا ابن العم ابن آوى».

كان ردّه: «أكيد يا سيدة نمرة، لكني لا أتصور أن من الحكمة أن يروك هم. سوف أرفعهم إلى النافذة واحداً بعد الآخر، فيرتاح بالك فيما يخصّ صحتهم ونموهم».

بعد أن جلس السيد والسيدة ابن آوى والسيدة نمرة معاً لبعض الوقت وشربوا القهوة، وتحدثوا عن هذا الأمر أو ذاك، أخذ ابن آوى زوجة النمر إلى أحد الأبواب وطلب منها أن تنظر خلاله،

إلى الباحة الخلفية. وهناك سوف يريها أطفالها واحداً بعد آخر، في حين لن يستطيعوا رؤيتها. حصل كل شيء كما قال ابن آوى، لكنهم رفعوا النمر الطفل السادس مرتين، لأنهم كانوا قد خلّلوا الابن البكر ليعدوا منه وجبة يوم الأحد.

وهكذا حصل في كل يوم سبت حتى آخر نمر صغير -الذي كان الأصغر- والذي اضطروا الرفعه سبع مرات متتالية.

وحين جاءت السيدة نمرة مرة أخرى في الأسبوع التالي كان كل شيء ساكناً سكون الموت وبدا كل شيء مهجوراً في المزرعة. سارت إلى الباب الأمامي، وهناك عثرت على رسالة بين العشب قرب الباب، جاء فيها ما يلي:

«خرجنا في نزهة مع الأطفال. من هناك سنأخذهم لتعليمهم رقصة بنات آوى تحضيراً للسنة الجديدة. وهذا ضروري لإكمال تعليمهم التقدمي».

ابن آوى سبتٌ بعد آخر ذهبت السيدة نمرة، لكن في كل مرة كان بيت ابن آوى يبدو أكثر خواءً، وبعد مدة رأت بيت عنكبوت على الباب وآثار ثعبان أوضح لها أنه بدوره اتخذ من المكان سكناً له.

تينك-تنكجي[1]

أرادت الطيور ملكاً.

فللبشر ملك، وللحيوانات كذلك، لماذا لا يكون لهم واحدٌ؟

فعقدوا اجتماعاً لكي ينتخبوا ملكاً.

صاح أحدهم: «النعامة، لأنها الأكبر حجماً».

«كلا، فهي لا تستطيع الطيران».

«الصقر، بسبب قوته».

«كلا، فهو بشع أكثر مما يجب».

«النسر، لأنه يستطيع الطيران أعلى من الجميع».

«كلا، النسر شديد القذارة، ورائحته نتنة».

«الطاووس، فهو رائع الجمال».

(1) تينك-تينكجي طائر صغير الحجم عذب الصوت (م).

«قوائمه أبشع مما يجب، وكذلك صوته».

«البوم، لأنه يستطيع الرؤية جيداً».

«ليس البوم، فهو يخشى النور».

لهذا لم يتقدموا خطوة واحدة. ثم صاح أحدهم بصوت مرتفع: «من يستطيع الطيران أعلى من غيره نتخذه ملكاً».

«نعم، نعم»، صاح الجميع، وبعد إشارة متفقٍ عليها انطلق الجميع مباشرة نحو السماء.

طار النسر طوال ثلاثة أيام من دون توقف، متجها نحو الشمس مباشرةً. ثم صاح بصوت مرتفع: «أنا الأعلى، أنا الملك».

«ت–سي، ت–سي، ت–سي»، سمع صوتاً فوقه. هناك كان يطير تينك–تينكجي. لقد تشبث بريشة كبيرة من ريش جناح النسر، ولم يشعر هذا به قط، لشدة خفته. «ت–سي، ت–سي، أنا الأعلى، أنا الملك»، غرد تينك–تينكجي.

طار النسر يوماً آخر وهو لا يزال في صعود: «أنا الأعلى، أنا الملك».

«ت–سي، ت–سي، أنا الأعلى، أنا الملك»، سخر منه تينك–

تينكجي. ها هو مرةً أخرى، يطل بوجهه من تحت جناح النسر.

واصل النسر طيرانه في اليوم الخامس صاعداً في الجو، ثم صاح: «أنا الأعلى، أنا الملك».

غرد الطائر الصغير فوقه: «ت–سي، ت–سي، أنا الأعلى، أنا الملك».

تعب النسر وعاد متجهاً إلى الأرض. جن جنون بقية الطيور. يجب أن يموت تينك–تينكجي لأنه استغل ريش النسر وأخفى نفسه فيه. طار الجميع وراءه فاضطر للاختباء في جحر فأر. كيف يمكن لهم إخراجه؟ يجب أن يقف أحدهم ليحرس المكان ويقبض عليه في اللحظة التي يخرج فيها رأسه.

صاحوا: «يجب أن يقوم البوم بالحراسة، فلديه أوسع عينين، ويمكنه الرؤية جيداً».

أخذ البوم موقعه أمام الحفرة. لكن كانت الشمس حارة فدبّ فيه النعاس، وسرعان ما غطّ في النوم.

مد تينك–تينكجي رأسه، ورأى البوم نائماً، وبسرعة البرق هرب. بعدها بقليل جاءت بقية الطيور ليروا إن كان تينك–

تينكجي لا يزال في الحفرة. فسمعوا صوته يأتيهم من إحدى الأشجار: «ت–سي، ت–سي»..

الغراب الأبيض، وقد اشمأز مما حدث، استدار وصاح: «بعد الآن، لن أنطق بكلمة واحدة».

ومنذ ذلك اليوم لم يتحدث الغراب الأبيض قط. حتى لو ضربته، لن يخرج منه أي صوت، ولن يطلق أي صرخة.

الأسد وابن آوى

قبض الأسد على ظبي كبير مدده على حافة جرف مرتفع. ثم شعر بالعطش وذهب لشرب الماء. «ابن آوى، اعتني بظبيي، سأذهب للشرب، لا تأكل شيئاً منه».

«حسن جداً، يا عمي الأسد».

ذهب الأسد إلى النهر وبهدوء أزال ابن آوى صخرةً كان الأسد يحتاج إليها ليعاود الصعود وصولاً إلى الجرف عند عودته. بعد ذلك أكل ابن آوى وزوجته بشهية كبيرة من الطريدة. عاد الأسد، لكنه لم يجد الصخرة على الجرف، فصاح: «يا ابن آوى، ساعدني».

«حاضر يا عمي الأسد، سأرمي لك حبلاً يمكنك تسلقه للصعود».

همس ابن آوى لزوجته: «أعطيني حبلاً قديماً رفيعاً». ثم أضاف بصوت مرتفع: «يا زوجتي، أعطيني واحداً من الحبال القوية، من جلد الجاموس، لكي لا يسقط منها العم الأسد».

أعطته الزوجة حبلاً قديماً بالياً. سارع ابن آوى وزوجته بالأكل بشراهة من اللحم، ثم أنزلا الحبل تدريجياً إلى أسفل. أمسك به الأسد وصارع للصعود. حين اقترب من الحافة جر ابن آوى الحبل بقوة. فانقطع الحبل وبدأ الأسد يتدحرج هابطاً، أخيراً استقر قرب النهر.

بدأ ابن آوى بضرب جلدٍ جاف كان موجوداً هناك، وهو يصرخ، ويبكي ويصيح بزوجته: «أيتها الحمقاء لماذا أعطيتني مثل هذا الحبل الرديء الذي تسبب بسقوط العم الأسد؟».

سمع الأسد الشجار فزأر: «يا ابن آوى، توقف عن ضرب زوجتك. سوف أؤذيك إن لم تتوقف، هيا تعال وساعدني على الصعود».

«يا عمي الأسد، سوف أعطيك حبلاً».

همس مرة أخرى لزوجته: «أعطيني أحد الحبال الرفيعة القديمة».

وصاح بصوت مرتفع مرة أخرى: «أعطيني حبلاً قوياً من جلد الجاموس، يا زوجتي، لكي لا ينقطع ثانية بالأسد».

مد ابن آوى الحبل، وحين قارب الأسد على الوصول إلى أعلى، قطع الحبل. سناب! وبدأ الأسد بالتدحرج نحو القعر. مرة أخرى ضرب ابن آوى الجلد وصرخ بزوجته: «أيتها الحمقاء، لماذا أعطيتيني مثل هذا الحبل العفن؟ ألم أقل لك أريد حبلاً متيناً؟».

زأر الأسد: «يا ابن آوى، توقف عن ضرب زوجتك على الفور. ساعدني فوراً وإلا ستندم».

قال ابن آوى بصوت مرتفع: «يا زوجتي أعطيني الآن أقوى حبل لديك»، وقال لها هامساً: «أعطيني أسوأ الحبال لدينا».

مرة أخرى أنزل ابن آوى الحبل، وما إن اقترب الأسد من الوصول إلى القمة، حتى قطع ابن آوى الحبل. فتدحرج الأسد العجوز المسكين على سفح التل وتمدد وهو يزأر من شدّة الألم. فلقد أصيب إصابةً قاتلة.

استفسر ابن آوى: «يا عمي الأسد، هل تأذيت؟ هل تتألم كثيراً؟ انتظر لحظة، سآتي إليك على الفور لمساعدتك».

وسار ابن آوى وزوجته ببطء مبتعدين.

الأسد وابن آوى

اتفق الأسد وابن آوى على الصيد معاً، بغرض تحضير مخزون من اللحم لأشهر الشتاء لعوائلهما.

وبما أن الأسد هو أكثرهما خبرة في الصيد، فقد اقترح ابن آوى أن يتولى هو نقل الطرائد إلى عرينهم، وأن تقوم السيدة بنت آوى وصغار ابن آوى بتحضير اللحوم وتجفيفها، والعمل على ألا تظل السيدة اللبوة وعائلتها بحاجة لشيء.

وافق الأسد، وبدأ الصيد.

بعد صيد ناجح، استغرق وقتاً طويلاً، عاد الأسد لرؤية عائلته، وللاستمتاع، كما تصور، بالمواد المخزونة لديه، ولعظيم دهشته، وجد السيدة لبوة وجميع الأسود الصغار على شفير الموت من شدة الجوع. بدا أن ابن آوى لم يعطهم إلا القليل من أحشاء الطرائد، وبكميات محدودة تكاد لا تكفيهم للبقاء على قيد الحياة، مكرراً لهم على الدوام أنهما

(أي هو والأسد) واجها فشلاً ذريعاً في الصيد، في حين كانت عائلته تعيش حياة مرفهة، وكل فرد منها ينال من الغذاء أكثر من حاجته.

كان هذا يفوق احتمال الأسد. فمضى في غضب رهيب، وهو يحلف أن يقتل ابن آوى وجميع أفراد عائلته، حيثما لقيهم. كان ابن آوى متهيئاً لصورة غضبه إلى حدٍ ما، واتخذ الاحتياطات لنقل جميع ما يملك إلى قمة مرتفع، لا يمكن لأحد الوصول إليه إلا عبر طريق صعب جداً وملتو، لا يعرفه غيره.

حين رآه الأسد على التل، سرعان ما حياه ابن آوى منادياً: «صباح الخير يا عمي الأسد».

زأر الأسد، بصوت يشبه الرعد: «كيف تجرؤ على تسميتي عمك، أيها الوغد الصفيق بعد الطريقة التي تصرفت بها مع عائلتي؟».

«أوه، يا عمي! كيف يمكن أن أشرح لك ما جرى؟ كل ما جرى بسبب زوجتي المتوحشة تلك!» وسُمع صوت واك، واك بينما يضرب بان آوى بعصا على جلدٍ جاف، متظاهراً أنه يجلد السيدة ابن آوى، بعد أن طلب منها أن تصيح كلما ضرب الجلد،

وهو ما فعلته بشدة، وصحبها صغار ابن آوى، الذين شكلوا جوقةً حزينة. قال ابن آوى: «هذه الشقية! كله من فعلها. سوف أقتلها»، واستمر بضرب الجلد، في حين تطلق الزوجة وأطفالها صراخاً يفطر القلب حتى توسل إليه الأسد أن يتوقف عن جلد زوجته. بعد أن هدأ بعض الشيء، دعا العم أسد للصعود ليأكل شيئاً. وبعد محاولات عديدة قام بها الأخير للصعود إلى المرتفع، اضطر إلى التخلي عن المحاولة.

اقترح عليه ابن آوى – المستعد على الدوام للحالات الطارئة – أن ينزل له حبلاً ليصعد عمه. وحين سحب الأسد، بمساعدة جميع أفراد عائلته، إلى نصف المسافة إلى أعلى، قطع الحبل بذكاء، فتدحرج الأسد وارتطم بالأرض، فتأذى كثيراً. بعد هذا، كرر ابن آوى تمثيليته بضرب الجلد بقوة هائلة، إذ تجرأوا على أعطائه حبلاً تالفاً، وردت السيدة ابن آوى والصغار بصرخات مخيفة وبكاء. ثم صاح بزوجته بصوت مرتفع لتجلب له حبلاً من جلد الجاموس يمكنه تحمل أي ثقل. ومرة أخرى أنزل الحبل وربطه بالأسد، ثم سحبت جميع الأيدي عمهم، وما إن بات قريباً من القمة بحيث استطاع رؤية الأواني وكل اللحم السمين الذي يطبخ فيها، واللحوم المعلقة لكي تجف، جرى قطع الحبل

مرة أخرى، فسقط الأسد المسكين بقوة جعلته يفقد وعيه لبعض الوقت. وبعد أن استعاد الأسد وعيه، قال ابن آوى، بأقصى ما استطاع من نبرة متعاطفة، إنه يخشى أن لا فائدة من محاولة رفعه إلى أعلى التل، ونصح، بدلاً من ذلك، أن يرمي له، مباشرة إلى فمه، بقطعة سمينة من صدر الطريدة بعد شوائها. فوافق الأسد فوراً وقد أضناه الجوع، وآلمته الجروح، وجلس متأهباً ينتظر القطعة السمينة.

في هذه الأثناء، قام ابن آوى بإحماء حجر دائري حتى احمرّ لونه، وغلفه بكمية من الشحم، ليجعله يبدو كرة من الشحم. حين رآها الأسد، فتح فمه الواسع إلى أقصى مداه، فأسقط المراوغ ابن آوى الكرة الساخنة فيه، فدخلت في أعماق الحيوان المسكين، وقتلته على الفور.

لا حاجة إلى القول إن التل شهد في تلك الليلة احتفالات بهيجة عظيمة.

صيد الأسد وابن آوى

قيل إن الأسد وابن آوى كمنا بانتظار الظبي لصيده. أطلق الأسد قوسه وأخطأ، لكن ابن آوى أصابه فراح يترنّم: «هاه! هاه!».

قال الأسد: «كلا، أنت لم تصبه، بل أنا من أصابه».

رد ابن آوى: «بل أنا من أصابه».

ثم رجعا إلى بيتهما لكي يعودا بعد موت الظبي، لتقطيعه. لكن ابن آوى، عاد من دون علم الأسد، وضرب أنفه حتى أسال الدم ورسم به أثراً وهمياً، ثم اتبع طريقاً آخر، لكي يخدع الأسد. بعد أن سار مسافة ما، عاد إلى الظبي الميت، وزحف إلى جثته، وقطع جميع ما فيه من شحوم.

في هذه الأثناء، لحق الأسد بآثار دماء ابن آوى، متصوراً أنه دم الظبي، وبعد أن سار لمسافة بعيدة اكتشف أنه تعرض للخديعة. ثم عاد إلى آثار ابن آوى، ووصل إلى الظبي الميت، ليجد ابن آوى عند جثته، فأمسك به من ذيله وسحبه بجرة واحدة.

وبخ الأسد ابن آوى قائلاً: «لماذا خدعتني؟».

رد ابن آوى: «كلا، يا أبتِ، أنا لا أخدعك، قد لا تعرف ذلك، كما أظن. لقد هيأت هذا الشحم من أجلك».

قال الأسد: «إذن خذ الشحم واحمله إلى أمك اللبوة». ثم أعطاه الرئتين ليأخذها إلى زوجته وأطفاله.

حين وصل ابن آوى، لم يعط الشحم لزوجة الأسد، بل لزوجته وأطفاله هو، لكنه أعطى الرئتين إلى زوجة الأسد، ورشق صغار الأسد بالرئتين، وهو يقول:

«يا أطفال صاحب المخالب العظيمة

يا أصحاب المخالب العظيمة!».

ثم قال للبوة، «سأذهب لمساعدة أبي الأسد»، لكنه مضى مبتعداً مع زوجته وأطفاله.

حكاية الأسد وابن آوى الصغير

ذات يوم خرج ابن آوى الصغير للصيد، حين قابل الأسد. اقترح الأخير أن يصيدا معاً، على شرط أنهما إذا صادا ظبياً صغيراً يكون من نصيب ابن آوى الصغير، وإذا قتلا واحداً كبيراً فيكون من حصة الأسد. وافق ابن آوى الصغير على ذلك.

أول حيوان قتلاه كان ظبياً كبيراً. وسرّ الأسد كثيراً بذلك، وقال لابن آوى الصغير: «سأواصل الصيد في حين تذهب أنت إلى بيتي وتنادي أطفالي ليحملوا اللحم إلى البيت».

رد ابن آوى: «نعم، أوافق على ذلك».

ابتعد الأسد لكي يصيد. وبعد ذهابه، ذهب ابن آوى إلى بيته ونادى أطفاله ليأخذوا اللحم. قال: «يعدّني الأسد غبياً إن تصور أني سأنادي أطفاله في حين يموت أطفالي جوعاً».

هكذا حمل أطفال ابن آوى اللحم إلى بيتهم على قمة صخرة عالية، حيث يحتاج الطريق الوحيد المؤدي إلى بيتهم إلى تسلق الحبال للوصول إليه.

لم يصد الأسد شيئاً آخر، وبعد مدة ذهب إلى بيته وسأل زوجته أين اللحم. فقالت لا يوجد أي لحم. سألها: «ألم يبلغكم ابن آوى بأن يأتي الصغار لكي يحملوا اللحم؟».

ردت زوجته: «كلا، لم يأت إلى هنا. ما زلنا نتضور جوعاً».

عندئذ ذهب الأسد إلى بيت ابن آوى، غير أنه لم يستطع تسلق الصخرة إليه. لهذا جلس قرب الماء منتظراً. بعد مدة خرج ابن آوى الصغير للحصول على بعض الماء. وما إن اقترب من الماء حتى رأى الأسد. ففر راكضاً، وركض الأسد في أعقابه. ركض ودخل في حفرة تحت شجرة، لكن الأسد أمسك بذيله قبل أن يدخل عميقاً. فقال له ابن آوى: «ما تمسك به ليس ذيلي، بل هو جذر شجرة. إن لم تصدقني، خذ حجراً واضربه، وانظر إن سال منه الدم».

أفلت الأسد الذيل، وذهب لجلب حجر ليتأكد من ماهيته.

وما إن ذهب لجلب الحجر، حتى دخل ابن آوى إلى عمق الحفرة. حين عاد الأسد لم يستطع العثور عليه. فتمدد قرب الحفرة منتظراً. وبعد مدةٍ طويلة أراد ابن آوى الصغير الخروج. فذهب نحو المدخل ونظر حوله، لكنه لم يستطع رؤية الأسد. فقال بهدف التأكد: «هوو، أني أراك، سيدي، بالرغم من اختبائك».

لم يتحرك الأسد من مخبأه. ثم خرج ابن آوى، ولحقه الأسد، لكنه أفلت منه.

ظل الأسد يراقبه، وفي أحد الأيام، خرج ابن آوى الصغير للصيد، فحاصره الأسد في زاوية لا يستطيع الفكاك منها. وأوشك أن يهاجمه، حين قال ابن آوى الصغير برقة: «أهدأ، ألا ترى ذلك الظبي على الجانب الآخر من الصخرة؟ يسعدني أنك جئت لمساعدتي. ابق هنا، في حين أركض لكي أقوده نحوك».

هذا ما فعله الأسد، واستطاع ابن آوى الصغير الهروب.

في وقت آخر كان ثمة اجتماع للحيوانات، وترأس الأسد الاجتماع. أراد ابن آوى الصغير حضوره، لكن ثمة قانون يفرض ألا يحضر الاجتماع إلا الحيوانات ذوات القرون. لهذا أخذ ابن

آوى الصغير بعض الشمع من خلية النحل، وصنع منه قرنين لنفسه، وذهب إلى الاجتماع. لم يعرفه الأسد بسبب القرنين. لكن ابن آوى جلس قريباً من النار وغرق بالنوم، فذابت القرون الشمعية.

نظر إليه الأسد فعرفه. سرعان ما حاول الإمساك به، لكن ابن آوى الصغير كان سريعاً في القفز. وركض تحت صخرة معلقة وصاح: «ساعدني! ساعدني! هذه الصخرة تسقط علي!».

ذهب الأسد لجلب عمود لإسناد الصخرة لكي يصل إلى ابن آوى. وما إن ابتعد، حتى هرب ابن آوى الصغير.

بعد ذلك عادا صديقين من جديد، وذهبا للصيد مرة أخرى. قتلا ثوراً. قال الأسد: «سوف أحرسه في حين تحمل القطع».

أعطاه الأسد الصدر وقال: «خذ هذا لزوجتي».

أخذه ابن آوى الصغير إلى زوجته هو. وحين عاد، أعطاه الأسد عظمة الساق، وقال: خذ هذا لزوجتك».

أخذ ابن آوى الصغير عظمة الساق إلى بيت الأسد. قالت زوجة الأسد: «لا يمكنني أخذ هذا لأنه لا يجب أن يأتي إلى هنا».

بعدها ضرب ابن آوى زوجة الأسد على وجهها، وعاد إلى حيث قتل الثور. أعطاه الأسد قطعة لحم كبيرة وقال: «خذ هذا إلى زوجتي».

أخذها ابن آوى إلى زوجته هو. استمر ذلك حتى انتهى الثور. ثم عاد كل منهما إلى بيته. وصل الأسد إلى منزله فوجد بكاءً وعويلاً في عائلته.

قالت زوجته: «أنت من أرسل ابن آوى الصغير ليضربني مع أطفالي، وأنت من أرسل هذا العظم؟ هل أكلتُ العظام يوماً؟».

حين سمع الأسد ذلك استشاط غضباً وهرع فوراً إلى بيت ابن آوى الصغير. حين وصل إلى الصخرة، نظر ابن آوى الصغير إلى أسفلها وقال: «من أنت، وما اسمك، وابن من أنت، ومن أين أنت، وإلى أين تذهب، ومن تريد، ولماذا تريده؟».

رد الأسد: «جئت فقط لرؤيتك. أرجو أن تنزل لي الحبل».

أنزل ابن آوى الصغير حبلاً من جلود الفئران، وحين تسلق الأسد قليلاً، سرعان ما انقطع الحبل، فسقط وتأذى. ثم عاد إلى بيته.

اللبوة والنعامة

قيل إنه ذات يوم، زأرت اللبوة، وكذلك فعلت النعامة. فذهبت اللبوة إلى النعامة وقالت لها: «أرجو أن تزأري». ففعلت النعامة. ثم زأرت اللبوة بعدها. وكان صوتاهما متعادلين. فقالت اللبوة للنعامة: «أنت ندٌ لي».

ثم قالت اللبوة للنعامة: «فلنذهب للصيد معاً». شاهدتا ظبياً واتجهتا نحوه. صادت اللبوة واحداً وحسب، في حين قتلت النعامة عدداً كبيراً منها بضربها بمخلب قدمها. حين التقتا بعد الصيد، رأت اللبوة أن النعامة قد قتلت عدداً كبيراً.

الآن، للبوة أيضاً أشبال صغار. ذهبوا إلى الظل للاستراحة. قالت اللبوة للنعامة: «انهضي لتمزيق الطريدة لكي نأكل».

قالت النعامة: «اذهبي أنت لتمزيقها، أنا سوف آكل الدم». نهضت اللبوة ومزقت الطريدة، وأكلت منها مع أشبالها. وبعد أن أكلت، نهضت النعامة وأكلت الدم. ثم أوى الجميع إلى النوم.

كان الأشبال يلعبون. ثم ذهبوا إلى النعامة التي كانت نائمة.

وحين ينام النعام يفتح فمه. رأى الأشبال أن النعامة ليس لها أسنان. فذهبوا إلى أمهم وقالوا: «هذا الشخص، الذي يقول إنه ندٌّ لك، ليست له أسنان، لذلك فهو يهينك».

ثم ذهبت اللبوة وأيقظت النعامة، وقالت: «فلنتعارك»، وتعاركتا. فقالت النعامة: «اذهبي إلى ذلك الجانب من كثيب النمل، وسأذهب إلى الجانب الآخر». ضربت النعامة كثيب النمل، وأرسلت به نحو اللبوة. لكن في المرة الثانية ضربت اللبوة في موضع حساس، قريب من الكبد، وقتلتها.

التمساح الخائن

حين كان لا يزال في مقدور الحيوانات النطق، كان التمساح كبير المخلوقات المائية وإن حكم أحدهم بناء على المظاهر، لقال إنه لا يزال كذلك. لكن في تلك الأيام كانت مهمته الخاصة العناية بجميع المخلوقات المائية. وذات سنة حل جفاف عظيم، وجفت مياه النهر الذي يعيشون فيه، مما استلزم خطة لحفر جدول لجلب الماء من نهر آخر قريب من هناك.

في البداية أُرسل ثعلب الماء للتجسس. ظل هناك يومين وعاد بتقرير جاء فيه أنه لا يزال ثمة ماء غزير في ذلك النهر، وبركٌ تكفي لأبقار الماء، وحتى جفاف عدة سنوات لن يتسبب بنفادها.

بعد تيقنه من ذلك، نادى التمساح السلحفاة والقاطور[1].

«اسمعا، أحتاج إليكما الليلة لأخذ التقرير إلى الأسد. لهذا كونا على استعداد. الواحة جافةٌ، وربما اضطررتما للسفر لعدة أيام من دون أي ماء. علينا التصالح مع الأسد ورعيته، وإلا هلكنا جميعاً خلال

(1) نوع من التماسيح (م).

هذه السنة. ويجب أن يساعدنا لجلب الماء من النهر الآخر، بشكل خاص من خلال مزرعة البوير التي تقع بينهما، وأن نسافر من دون أن يتحرش بنا أحد من حيوانات الواحة، طيلة مدة حفر الجدول. إذ أن سمكةً على اليابسة قد تكون عديمة الحيلة أحياناً، كما تعلمان».

عانى كلاهما في الشمس الحارقة، وفي الواحة الجافة، لكنهما في النهاية وصلا إلى الأسد وأعطياه المعاهدة.

«ما الذي يجري الآن؟» فكر الأسد في نفسه، حين قرأ ما جاء فيها، «يجب أن أستشير ابن آوى أولاً». لكنه رد على الرسولين قائلاً إنه سيكون في المساء التالي مع مستشاريه في المكان المحدد، عند شجرة شجرة الصفصاف الكبيرة، في النهاية القصوى من حفرة الماء، حيث مقر التمساح.

حين عادت السلحفاة والقاطور، كان التمساح شديد الرضا عن نفسه للمسار الذي اتخذته الأمور.

سُمح لثعلب الماء وعدد قليل آخر بالحضور وأمرهم أنه في ذلك المساء يجب أن يكونوا على استعداد ويحضروا الكثير من الأسماك وغيرها من المأكولات لضيوفهم تحت شجرة الصفصاف.

عندما حل المساء وساد الظلام ظهر الأسد ومعه الذئب وابن

آوى وقرد البابون، وعدد قليل آخر من الحيوانات المهمة، في المكان المحدد، وجرى استقبالهم بحرارة من التمساح وغيره من المخلوقات المائية.

لشدة سعادة التمساح باجتماع الحيوانات هذا تساقطت دموع الفرح من عينيه وبللت الرمال. بعد أن أكلت الحيوانات الأخرى من الأسماك، طرح التمساح أمامهم ظروف الحال وشرح خطته قائلاً إنه لا يريد سوى إحلال السلام بين جميع الحيوانات، فمن جهة هم يدمرون بعضهم بعضاً، في حين يسعى البوير لدمارهم جميعاً في الوقت المناسب.

كان البوير قد وضع بالفعل ثلاث مضخات بخارية عند منبع النهر لكي يروي أرضه، وصار الماء شحيحاً جداً بمرور الأيام. فضلاً عن ذلك، استغل ظرفهم القاسي وجعلهم يجلسون في المياه الضحلة، ثم، واحداً بعد آخر، يتسبب بموتهم. ولكون الأسد، كما قال، حريصاً على أن يحل السلام، فمما يحقق له المجد أن ينتهز هذه الفرصة ويمد يده لهذه المخلوقات المائية المسالمة، ويرافقهم مع جماعته في الطريق من المياه الجافة، عبر مزرعة البوير وصولاً إلى برك الأبقار المائية.

سأل ابن آوى: «وما الفائدة التي سنجنيها من ذلك؟».

ردّ التمساح: «حسناً، السلام المتحقق من هذه المعاهدة سيعود بالفوائد على الطرفين، وعلى الأقل لن يفني بعضنا بعضاً. فإذا رغبت بشرب الماء من النهر، يمكنك القيام بذلك باطمئنان، ولن تقلق أن أقوم أنا أو أي منا بالإمساك بك، وكذا الحال مع جميع الحيوانات. ومن جهتكم، سوف تخلصوننا من الفيل الذي اعتاد، كلما سنحت له الفرصة، أن يقذفنا بخرطومه إلى غصن شجرة مما يهلكنا».

وقف الأسد وابن آوى جانباً للتباحث، ثم أراد الأسد أن يعرف نوع الضمانات التي سيحصل عليها بالتزام التمساح من جانبه بالاتفاق.

«أعطيك كلمة شرف مني»، كان الرد السريع من التمساح، ثم سفح على الرمل بضع دمعات تدل على الشرف.

ثم قال قرد البابون إن الأمر يبدو مستقيماً وأميناً. قال إنه يتصور من السخف أن يعمل كل طرف على حفر الحفر في طريق الآخر، لأنه شخصياً يدرك أن عِرقه سوف يستفيد بشكل أو بآخر من معاهدة السلام والصداقة هذه. والأهم من ذلك الآن هو أن عليهم التدارس في مسألة الجفاف السريع للماء، إذ حتى في أفضل الأوقات ليس من المريح أن تظل تحمل حياتك

بين يديك باحثاً عن الماء. مع ذلك، ود أن يقترح على الملك أن يوضع الأمر كله بصيغ مكتوبة، لكي لا يكون ثمة ما يستوجب الندم فيما بعد.

لم يرغب ابن آوى بسماع الاتفاق. إذ لم يستطع أن يرى فيه أي فائدة لحيوانات الواحة. لكن الذئب الذي شبع تماماً من أكل الأسماك، صار في مزاج محب للسلام بشكل استثنائي، نصح الأسد مرة أخرى بالموافقة على الاتفاق.

بعدما استمع الأسد لجميع مستشاريه، وكذلك للنبرات المتوسلة لأتباع التمساح، ألقى خطاباً قال فيه إنه ميال لعقد الاتفاق، لكونه قد رأى التمساح وأتباعه في موقف حرج للغاية.

آنذاك تمت صياغة الوثيقة، وتقرر بموجبها، وقبل منتصف الليل، البدء بحفر الجدول. سبح رسل التمساح في جميع الاتجاهات لجمع حيوانات الماء من أجل حفر الجدول.

نقت الضفادع، وهسهست صراصير الليل بين أعشاب الماء الطويلة. ولم يمر وقت طويل حتى تجمعت كل الحيوانات عند شجرة الصفصاف. وفي تلك الأثناء أرسل الأسد عدداً من السعاة إلى أتباعه لتجهيز قوات المرافقين، وقرابة منتصف الليل

كان هؤلاء بدورهم عند شجرة الصفصاف في ضوء القمر.

نظم الأسد وابن آوى عملية الحفر. وكان على ابن آوى أن يأخذ المقدمة ويقوم بدور الجاسوس، وحين استطاع الاختلاء بالأسد، قال له: «اسمعني قليلاً، ليست لدي أي ثقة بهذا الأمر على الإطلاق، وأريد أن أخبرك ذلك صراحةً، سوف أحفر الجدول! وسوف أتجسس من أجلك حتى تصل إلى حيث بركة أبقار البحر، لكنني لن أنتظر وصولك إلى هناك».

كان على الفيل أن يقوم بدور الحراسة الأمامية لأنه يستطيع السير بهدوء شديد ويستطيع الشم والسمع جيداً. ثم يأتي الأسد مع فرقة من الحيوانات، ثم جماعة الحفر الخاصة بالتمساح مع فرق حماية من الجانبين، وتلقى الذئب الأوامر أن يشكل حماية المؤخرة.

في هذه الأثناء، وبينما يجري ترتيب كل شيء، كان التمساح يهيء خيانته بهدوء. اختلى بالثعبان الأصفر جانباً وقال له: «هذه الحيوانات، التي تعيش بيننا كل يوم، وستظل تفعل ذلك، من مصلحتنا أن تقع بين يدي البوير. استمع الآن! ابق في الخلف بحيث لا يلاحظك أحد، وحين تسمع صياحي ستعرف أننا وصلنا سالمين إلى بركة أبقار البحر. عند ذاك، يجب أن تستفز

كلاب البوير قدر استطاعتك، ثم تجري الأمور كما يجب».

هكذا تحرك الجميع. كان من الضروري التمهل لأن العديد من الحيوانات المائية لم يعتد السفر على الأرض، لكنهم اجتازوا مزرعة البوير بسلام، وقبيل الفجر، وصل الجميع إلى بركة أبقار البحر. عندها اختفت الحيوانات المائية فجأة في المياه العميقة، وبدأ التمساح بدوره يتهيأ ليتبعهم. بعيون دامعة قال للأسد كم هو شاكر لمساعدته، وأنه لشدة سعادته وارتياحه، يجب أن يعبر عن مشاعره ببضع صرخات. وسرعان ما اتبع كلماته بالأفعال حتى رددت الجبال صداه، ثم شكر الأسد نيابة عن أتباعه، وتعمد الإطالة في خطابه، مركزاً على الفوائد العظيمة التي سيجنيها الطرفان من اتفاقية السلام.

أوشك الأسد أن يقول نهارك سعيد ويغادر، حين دوت أولى الطلقات، ومعها سقط الفيل وعدد من الحيوانات الأخرى.

«لقد قلت لك هذا!» صاح ابن آوى من الطرف الآخر من بركة أبقار البحر. «لماذا سمحتم لأنفسكم أن تخدعكم بضع دمعات من التمساح؟».

كان التمساح قد اختفى منذ وقت طويل في داخل الماء. لم

ير أحد غير كثير من الفقاقيع، في حين جرت حرب فعلية ضد الحيوانات على الجرف. لم يسمع غير أزيز الطلقات من البوير.

لكن لحسن الحظ خرج أغلبهم منها أحياء.

بعدها بمدة قصيرة، كما قيل، تلقى التمساح الجزاء الذي يستحقه، حين قابل سائقاً يحمل شحنة من المتفجرات. وحتى الآن ما يزال الفيل يرمي بالتماسيح إلى أغصان الأشجار كلما سنحت أمامه الفرصة.

حكاية بركة

حدث جفاف عظيم في الأرض، واستدعى الأسد عدداً من الحيوانات لكي يتوصلوا لوضع خطة للمحافظة على مياه الأمطار عند هطولها.

وكانت الحيوانات التي حضرت، بناءً على دعوة الأسد، هي قرد البابون والفهد والضبع وابن آوى والأرنب البري وسلحفاة الجبال.

اتفقوا جميعاً على حفر حفرة واسعة في مكان ملائم لتخزين الماء، وفي اليوم التالي بدأ الجميع بالعمل، باستثناء ابن آوى، الذي ظل يحوم حول المنطقة، وسُمع وهو يغمغم أنه لن يعمل حتى تتكسر أظافره من أجل حفرة ماء.

حين انتهى العمل بالحفرة وهطلت الأمطار، سرعان ما امتلأت البركة بالماء، مما بعث سعادةً عظيمة في نفوس كل من عمل بجد من أجله. لكن أول من جاء للشرب، كان ابن آوى، الذي لم يكتف بالشرب، بل ملأ وعاءً فخارياً، ثم بدأ يسبح فيما تبقى من الماء، وجعله موحلاً وقذراً قدر ما استطاع.

علم الأسد بذلك، فغضب أشدّ الغضب وأمر قرد البابون بحراسة الماء في اليوم التالي، وتسلح الأخير بعصاه، واختبأ في الأحراش القريبة من الماء، لكن سرعان ما أحس ابن آوى بوجوده هناك، وخمن الغرض من ذلك. ولمعرفته شدة حب قرد البابون للعسل، سرعان ما وضع ابن آوى خطةً، وبدأ يسير جيئة وذهاباً، وهو يضع أصابعه في وعائه الفخاري ويلحسها بين آونة وأخرى، وعلى وجهه ملامح التلذذ العظيم، وهو يقول بصوت خافت لنفسه: «لا أريد شيئاً من مائهم القذر حين يكون لدي وعاءً مليئاً بالعسل اللذيذ». كان هذا أكثر مما يستطيع قرد البابون المسكين تحمله، وبدأ لعابه يسيل لشدة ما اشتهى العسل. سرعان ما بدأ يتوسل لابن آوى أن يعطيه قليلاً من العسل، إذ أنه يقوم بالمراقبة منذ عدة ساعات، مما جعله جائعاً ومتعباً جداً.

في البداية تظاهر ابن آوى أنه لم يتنبه لوجود البابون، ثم نظر حوله وقال بطريقة استعلائية، إنه يشفق على مثل هذا المخلوق سيء الحظ، وسوف يعطيه بعض العسل مع بعض الشروط، منها أن يتخلى عن عصاه ويسمح أن يقيده ابن آوى. وافق البابون بحماقة، وسرعان ما وجد نفسه مقيداً بطريقة لا يستطيع معها تحريك يده أو رجله.

وتقدم ابن آوى لشرب الماء وملء وعائه، وللسباحة أمام عين البابون، وراح بين آونة وأخرى يخبره كم أنه شخصٌ أحمق

يمكن خداعه بهذه السهولة، وأنه هو (ابن آوى) ليس لديه أي عسل أو أي شيء آخر ليعطيه إياه، باستثناء ضربة على الرأس بين آن وآخر وبعصاه نفسها.

سرعان ما ظهرت الحيوانات الأخرى ووجدت البابون المسكين في معاناته الرهيبة وكأنه صورة للشقاء. غضب الأسد حتى أمر بمعاقبة البابون عقاباً قاسياً، وأن يطلق عليه وصف الأحمق.

هنا تقدمت السلحفاة، وعرضت خدماتها للقبض على ابن آوى. في البداية تصور الجميع أنها تمزح، لكن حين شرحت الطريقة التي تنوي الإمساك به، عُدت الخطة ممكنة التنفيذ، وبالتالي جرت الموافقة على عرضها. اقترحت أن يُدهن جسمها بالعسل الأسود اللزج الموجود في خلايا النحل، ثم تذهب بعدها للوقوف في مدخل السد، بمستوى الماء، فيضطر ابن آوى أن يدوس عليها ليمر، وبالتالي يلتصق بها. وهذا ما حصل ووقفت السلحفاة هناك.

في اليوم التالي، حين جاء ابن آوى، اقترب من الماء بحذر شديد، وتساءل عن سبب عدم وجود أحد ما هناك. ثم تقدم من المدخل إلى الماء، ولاحظ مدى لطفهم إذ وضعوا صخرة سوداء كبيرة ليخطو عليها. وما إن وضع قدمه على الصخرة المفترضة، حتى التصقت قدمه بها، وأدرك أنه قد خُدع، إذ أخرجت السلحفاة رأسها وبدأت بالتحرك. كانت لا تزال الأقدام الخلفية

لابن آوى حرةً فهدد بسحق السلحفاة بها إن لم تدعه يذهب. اكتفت السلحفاة بالقول، «أفعل ما شئت». عندها قام ابن آوى بقفزة عنيفة، ووجد لرعبه الشديد، أن قدميه الخلفيتين قد التصقتا بدورهما. فقال: «أيتها السلحفاة لا يزال لدي فمي وأسناني، وسوف آكلك حيةً إن لم تطلقيني».

«أفعل كما تريد». ردت السلحفاة مرةً أخرى. في محاولات ابن آوى لتحرير نفسه، استطاع أخيراً أن يعض السلحفاة عضة اليائس، فوجد نفسه قد التصق بها بالكامل. شعرت السلحفاة بالفخر لنجاحها بالقبض عليه، سارت بهدوء إلى أعلى الجرف وابن آوى على ظهرها، لكي تستطيع الحيوانات الأخرى رؤيته حين تأتي لشرب الماء.

استطاعوا بالتأكيد أن يروا كيف ألقي القبض على ابن آوى بذكاء ومهارة، وتلقت السلحفاة الكثير من المديح، في حين تم تذكير قرد البابون التعيس بسوء تصرفه حين كان يحرس الماء.

سرعان ما حكم الأسد على ابن آوى بالموت، وعلى الضبع بتنفيذ الحكم على الفور. ناشد ابن آوى بقوة من أجل الرحمة، لكنه وجد ذلك بلا جدوى، فقدم طلباً أخيراً للأسد (الذي طالما كان، كما قال، عادلاً ومنصفاً في تعاملاته) لكي لا يجعله يعاني من موت بطيء.

استفسر منه الأسد عن الطريقة التي يرغب أن يموت بها، فطلب أن يحلق ذيله ثم يوضع عليه القليل من الشحم، ويمكن للضبع بعدها أن يدور به مرتين، ثم يضرب دماغه بحجر. عد الأسد هذا الطلب منصفاً، فأمر أن ينفذ ذلك بحضوره.

بعد حلاقة ذيل ابن آوى ودهنه، أمسك به الضبع بقوة عظيمة، وقبل أن يرفعه بما يكفي عن الأرض، كان الماكر ابن آوى قد انزلق من قبضة الضبع، وبدأ يركض من أجل حياته، تطارده جميع الحيوانات.

كان الأسد أول المطاردين، وبعد مطاردة رهيبة، وقف ابن آوى على صخرة عند شفا حفرة عميقة، وقف على قوائمه الخلفية وقد ضغط كتفيه على الصخرة، وصاح على الأسد بصوت مرتفع لكي يساعده، لكون الصخرة على وشك السقوط، وسوف تسحقهما معاً. وضع الأسد كتفيه على الصخرة، وبذل كل جهده. بعد مدة قصيرة اقترح ابن آوى وجوب أن يزحف خارجاً، لكي يجلب عموداً كبيراً لإسناد الصخرة، لكي يستطيع الأسد الخروج إنقاذاً لحياته. بالفعل زحف ابن آوى، وترك الأسد هناك ليموت جوعاً.

الرقص من أجل الماء أو انتصار الأرنب

حصل جفاف مخيف. سرعان ما جفت الأنهار وحتى الينابيع لم تعد فيها نقطة ماء.

تجولت الحيوانات في كل مكان بحثاً عما يُشرب، لكن من دون جدوى. بات من المستحيل العثور على ماء في أي مكان.

تم عقد اجتماع كبير للحيوانات: الأسد والنمر والذئب وابن آوى والفيل، جاء الجميع معاً. ما العمل؟ ذلك هو السؤال. لدى واحد منهم هذه الخطة، وللآخر تلك، لكن جميعها بدت عديمة الجدوى.

أخيراً اقترح أحدهم: «فلنذهب جميعاً إلى حوض النهر الجاف ونرقص فيه، وبهذه الطريقة نستطيع إخراج الماء بالدوس عليه».

جيد! كان الجميع مرتاحاً وجاهزاً للبدء على الفور، باستثناء الأرنب، الذي قال: «لن أذهب وأرقص. كلكم مجانين لتحاولوا الحصول على الماء من الأرض برقصكم».

رقصت بقية الحيوانات ورقصت، بالنهاية خرج الماء إلى السطح. وكم كانت فرحتهم عظيمة. شرب الجميع قدر استطاعتهم، لكن الأرنب لم يرقص معهم. لهذا تقرر ألا يحصل على الماء.

ضحك منهم: «مع ذلك سوف أشرب بعضاً من مائكم».

في ذلك المساء سار الهوينى إلى حوض النهر حيث جرى الرقص، وشرب قدر ما أراد. في الصباح التالي رأت الحيوانات آثار أقدام الأرنب على الأرض، وصاح بهم الأرنب: «آها! حصلت بالفعل على شيء من الماء، وكان منعشاً جداً وطعمه لذيذاً».

سرعان ما دعيت الحيوانات للاجتماع. ما العمل؟ كيف يمكنهم وضع أيديهم على الأرنب؟ لدى الجميع وسائل لهذا الهدف، اقترح أحدهم هذا، واقترح آخر ذاك.

أخيراً تقدّمت السلحفاة العجوز ببطء وقالت: «سوف أمسك بالأرنب».

صاح البقية بصوت واحد: «أنت؟ كيف؟ من تحسبين نفسك؟».

«أمسحوا ترسي بقليل من العسل الأسود وسأذهب إلى ضفة

الماء وأتمدد. عند ذاك سأشبه الصخرة، ومتى ما وضع الأرنب قدميه عليّ فسوف يلتصق بي».

«نعم! نعم! هذا جيد».

واحد اثنان ثلاثة، تمت تغطية ترس السلحفاة بالعسل الأسود، ومضت ببطء نحو النهر. عند الضفة، قريباً من الماء، تمددت وأدخلت رأسها في داخل الترس.

جاء الأرنب خلال المساء ليحصل على شرابه: «ها!» ضحك ساخراً، «إنهم بالرغم من كل شيء كرماء جداً. ها قد وضعوا لي صخرة، ولن أضطر إلى أن أبلل قدمي بغير داع».

وضع الأرنب قدمه اليسرى على الصخرة، فالتصقت بها. عندها أخرجت السلحفاة رأسها. «ها! السلحفاة العجوز! هذه أنت، أليس كذلك، من يمسك بي. لكني ما زال لدي قدمٌ أخرى. سوف أرفسك بها». ضرب الأرنب السلحفاة بقدمه اليمنى، ضربةً قوية ومباشرة، وهناك بقيت قدمه.

«لا تزال لدي قوائمي الخلفية، وسوف أضربك بها». ضرب الأرنب بقائمته الخلفية. وهذه بدورها بقيت على السلحفاة حيث التصقت.

«مع ذلك تبقى قائمة أخرى، والآن سوف أضربك». وضرب بقائمته، لكنها التصقت مثل البقية.

استخدم رأسه لضرب السلحفاة، وذيله ليجلده به، لكنهما لقيا المصير نفسه، هكذا وجد نفسه مقيداً بالكامل.

هنا بدأت السلحفاة تستدير ببطء واتجهت نحو بقية الحيوانات، والأرنب على ظهرها.

صاحت الحيوانات: «ها! ها! ها! أرنب! كيف يبدو الحال الآن؟ لن تفيدك الغطرسة في نهاية المطاف».

الآن سعوا للحصول على النصيحة. ما الذي يجب فعله بالأرنب؟ من المؤكد أنه يجب أن يموت. لكن كيف؟ قال أحدهم: «اقطعوا رأسه» وقال آخر: «لتفرض عليه عقوبة شديدة».

«أرنب، كيف لنا أن نقتلك؟».

قال الأرنب: «لا تهمني الطريقة، فقط لا تصدروا عليّ حكماً مخجلاً».

«وما هذا؟» صاحوا جميعاً.

«أن تمسكوا بي من ذيلي وتسحقوا رأسي على صخرة، هذا

ما أصلي وأتوسل لكم ألا تفعلوه».

«كلا، لكن هذه بالضبط هي الطريقة التي ستموت بها. هذا ما تقرر».

تقرر أن يموت الأرنب في أن يُمسك ذيله ويُهشم رأسه قطعاً على صخرة ما. لكن من يقوم بذلك؟

الأسد، لأنه هو الأكثرة قوة من الجميع.

حسناً! يجب أن يفعل الأسد ذلك. نهض، وسار إلى المقدمة، وجيء له بالأرنب المسكين. توسل الأرنب وتمنى ألا يموت مثل هذه الميتة التعيسة.

أمسك الأسد بذيل الأرنب بحزم وأداره حول نفسه. انسلخ الجلد الأبيض عن الأرنب، ووقف الأسد ممسكاً بقطعة الجلد والشعر بمخلبه. وتحرر الأرنب.

ابن آوى والقرد

في كل مساء يتسلل ابن آوى إلى مزرعة «البوير» ويسرق خروفاً سميناً فتياً.. أخيراً وضع له البوير فخاً عند الباب. ذهب ابن آوى مرة أخرى وزيييييب - علق في الأنشوطة. ووراح يتأرجح ويتمايل في الهواء. بدأ النهار يطلع فاضطرب ابن آوى.

على سورٍ حجري، جلس القرد. وحين انتشر ضوء النهار استطاع رؤية الأمر برمته، فهبط بسرعة لكي يسخر من ابن آوى. ذهب وجلس على السور: «ها، ها، صباح الخير. ها أنت ذا معلق الآن، أمسكوا بك في النهاية».

«ماذا؟ أمسكوا بي؟ أني أتأرجح لمتعتي الخاصة، أنها مسلية بحق».

«أيها الكذاب. لقد وقعت في الفخ».

«لو أنك فقط تدرك مدى جمال التأرجح والتمايل على هذا النحو، فلن تتردد. تعال وجربه قليلاً. سوف تشعر بالصحة

والقوة طوال النهار، ولن تتعب بعد ذلك».

«كلا، لن أفعل. لقد أمسكوا بك».

بعد مدة استطاع ابن آوى إقناع القرد. قفز من جدار المزرعة، وحرر ابن آوى، ووضع الأنشوطة حول جسده. سارع ابن آوى بالانطلاق وبدأ يضحك، إذ صار القرد يتأرجح عالياً في الهواء.

«ها، ها، ها»، ضحك ابن آوى. «الآن وقع القرد في الفخ».

صاح القرد: «أطلقني يا ابن آوى»،.

«ها هو البوير آت».

«ابن آوى، حررني من هذا، وإلا سوف أكسر ألعابك».

«كلا، ها هو البوير آت مع بندقيته، استرح قليلاً في الأنشوطة».

«ابن آوى، عجّل وحررني».

«كلا، ها قد وصل البوير بالفعل، وهو يحمل بندقية. عمت صباحاً». ومع هذه الكلمات الوداعية ركض بأقصى سرعة

ممكنة. جاء البوير ورأى القرد في الفخ.

«إذن أيها القرد، لقد أمسكت بك أخيراً. أنت من كان يسرق خرافي، هيه؟».

صاح القرد: «كلا، كلا، لست أنا، بل ابن آوى».

«كلا، أنا أعرفك، لست أفضل من أن تقوم بذلك».

«كلا، بوير، كلا، كلا، لست أنا، بل ابن آوى».

«أوه، أنا اعرفك. انتظر قليلاً». ورفع البوير بندقيته، وصوّب وأطلق النار على القرد المسكين وقتله.

نصيب الأسد

ذهب الأسد وابن آوى للصيد معاً. أطلق الأسد سهمه أولاً، غير أنه أخطأ الهدف، لكن ابن آوى أصاب طريدةً، فصاح بسعادة: «لقد أصبت الهدف».

نظر إليه الأسد بعينيه الواسعتين، لكن ابن آوى لم يفقد رباطة جأشه، بل قال: «كلا، يا عمي، أقصد أنك قد أصبته».

ثم سارا نحو الغنيمة، فمر ابن آوى بسهم الأسد من دون أن يلفت انتباهه إليه. حين وصلا إلى مفترق طرق، قال ابن آوى: «عمي العزيز، أنت مسن ومرهق، فابق هنا». ثم ذهب ابن آوى في الطريق الخطأ، ضرب أنفه، وحين العودة، ترك الدم يسيل منه لكي يبدو كأنه دم الطريدة. قال: «لم أستطع العثور على شيء، لكنني رأيت آثار دماء. من الأفضل أن تذهب بنفسك لتراها. في هذه الأثناء سأذهب في هذا الطريق الآخر».

سرعان ما عثر ابن آوى على الحيوان القتيل، زحف في داخله، والتهم أفضل أجزاءه، لكن ذيله ظل في الخارج، وحين وصل

الأسد، أمسك به، وسحبه إلى الخارج، ورماه أرضاً وهو يصرخ به: «أيها الوغد!».

سارع ابن آوى للنهوض مرة أخرى، وتذمر من المعاملة الخشنة، وسأل: «ماذا فعلت الآن يا عمي العزيز؟ كنت منشغلاً بقطع أفضل الأجزاء من أجلك».

قال الأسد: «لنذهب الآن ونجلب زوجتينا». لكن ابن آوى توسل عمه العزيز أن يبقى في مكانه لأنه عجوز متعب. ثم ذهب هو، وأخذ معه قطعتين من اللحم، واحدة لزوجته، والقطعة الأفضل لزوجة الأسد. حين وصل ابن آوى مع اللحم، رآه أطفال الأسد، وبدأوا يتقافزون ويصفقون صائحين: «ها قد جاء ابن العم مع اللحم!» رمى ابن آوى أسوأ القطع إليهم وهو يغمغم قائلاً: «إليكم، سلالة ذي العين الواحدة الكبيرة!» ثم ذهب إلى بيته وأخبر زوجته أن تسارع إلى الذهاب إلى حيث توجد الطريدة القتيلة. أرادت اللبوة أن تفعل الشيء نفسه، لكنه منعها، وقال إن الأسد سيأتي بنفسه لأخذها.

حين وصل ابن آوى وزوجته وأطفاله إلى مقربة من الحيوان القتيل، ركض إلى داخل دغل من الأشواك، خدش نفسه حتى نزف، وهكذا ظهر أمام الأسد، وقال له: «آه! أي زوجة لديك.

انظر هنا، كيف خدشت وجهي حين أخبرتها أن عليها المجيء معنا. يجب أن تجلبها بنفسك، إذ لم أستطع جلبها». عاد الأسد إلى بيته غاضباً. ثم قال ابن آوى: «أسرعوا، لنبني لنا برجاً». راكموا حجراً فوق حجر فوق حجر، وحين أصبح مرتفعاً بما فيه الكفاية، حملوا الطريدة إلى الأعلى. حين رأى ابن آوى الأسد قادماً مع زوجته وأطفاله، صاح قائلاً: «عمي، في غيابك قمت ببناء برجٍ، لكي أقدر على رؤية الطرائد أفضل».

قال الأسد: «حسن، لكن دعني أصعد إليك».

«بالتأكيد يا عمي العزيز، لكن كيف تستطيع الصعود؟ دعني أنزل لك حبلاً».

ربط الأسد الحبل حول جسمه وبدأ ابن آوى يسحبه إلى أعلى، لكن حين قارب على الوصول إلى القمة، صاح ابن آوى بالأسد: «عمي، ما أثقلك!» ثم، من دون أن يراه الأسد، قطع الحبل. سقط الأسد أرضاً، في حين بدأ ابن آوى يوبخ زوجته بصوت مرتفع غاضب، ثم قال: «اذهبي واجلبي لي حبلاً جديداً»، ثم قال لها سراً: «بل حبلاً قديماً».

مرة أخرى ربط الأسد نفسه بالحبل، وما إن شارف على الوصول، حتى قطع ابن آوى الحبل كالمرة السابقة، فسقط الأسد

بقوة، وراح يتأوه بصوت مرتفع، إذ أصيب إصابةً بالغة.

قال ابن آوى: «كلا، هذا ليس نافعاً، مع ذلك، يجب أن تحاول الوصول إلى ارتفاع يكفي لكي تحصل على لقمةٍ في الأقل».

ثم أمر زوجته بصوت مرتفع لتهيء قطعةً جيدةً، لكنه في السر أخبرها أن تسخن حجراً، وتغطيه بالشحم. ثم سحب الأسد مرة أخرى، وهو يتذمر من ثقله، وطلب منه أن يفتح فمه، ومن ثم رمى الحجر الساخن في حلقه. فسقط الأسد أرضاً وتمدد متوسلاً للحصول على الماء، في حين هبط ابن آوى وهرب.

عروس ابن آوى

قيل إن ابن آوى تزوج من أم قشعم[1]، وأخذ بقرةً كانت ملكاً للنمل، ليذبحها في عرسه، وبعد أن ذبحها، وضع جلد البقرة على عروسه، وثبّت عموداً (لكي يعلق عليه اللحم)، ووضع في أعلى العمود (الذي كان برأسين) موقد الطبخ، لكي يطبخ عليه جميع أنواع الطعام اللذيذ. عندئذ جاء الأسد ورغب بالصعود. بالتالي، طلب ابن آوى من ابنته الصغرى لتجلب حبلاً يمكن به سحب الأسد إلى أعلى، وبدأ يسحبه، وحين أصبح وجهه قريباً من إناء الطبخ، قطع الحبل إلى نصفين، فتدحرج الأسد ساقطاً. وبّخ ابن آوى ابنته بهذه الكلمات: «لماذا أعطيتيني مثل هذا الحبل القديم؟»، وأضاف: «أعطيني حبلاً جديداً». فأعطته حبلاً جديداً، ومرة أخرى سحب الأسد، وحين أصبح وجهه قريباً من الإناء، الذي كان على النار، قال: «افتح فمك». ثم وضع في فمه قطعة ساخنة من حجر الكوارتز الذي كان يجري تسخينه مع الشحم، فنزل الحجر وأحرق بلعومه. هكذا مات الأسد.

(1) أنثى الضبع (م).

ثم جاء النمل راكضين سعياً وراء البقرة، وحين رآهم ابن آوى هرب. فضربوا عروسه في ثوب عرسها. تصورت أم قشعم أن ابن آوى هو من يضربها، قالت: «أيها الوغد الأسمر! ألم تلعب لعبة الضرب بما يكفي؟ أليست لديك لعبةً أخرى فيها من الحب أكثر من هذا؟».

لكن حين فتحت فتحة في جلد البقرة، ورأت أنهم أناس آخرون، هربت، وهي تسقط هنا وهناك، لكنها نجحت في الهروب.

حكاية الأرنب البري

ذات مرة أقام قوم الحيوانات الحيوانات سياجاً من الأشواك وضعت فيه بعض الشحم. اتفقوا على أن يظل واحداً منهم ليحرس البوابة. أول واحد تم تعيينه كان الأرنب (imbila)[1]. وافق على تحمل المسؤولية، فذهب الجميع. بعد مدة قصيرة نام الأرنب، وجاء الأنكاليميفا (وهو حيوان خرافي هائل) ودخل وأكل كل الشحم. بعد ذلك، رمى حجراً صغيراً على الأرنب.

استيقظ الأرنب فزعاً وصرخ: «الشحم العائد لجميع الحيوانات قد أكله الأنكاليميفا».

كرر الصيحة عدة مرات. فسمعته الحيوانات من مسافة بعيدة، فتراكضوا نحو السياج، وحين رأوا أن الشحم غير موجود قتلوا الأرنب.

مرة أخرى وضعوا شحماً في السياج، وعينوا لحراسة البوابة حيواناً آخر هو كلب صيد الفئران (ingaga). وافق الكلب،

(1) الاسم الأفريقي للحيوان وكذلك جميع أسماء الحيوانات بين قوسين (م).

فذهبت الحيوانات في طريقها مثل المرة السابقة. بعد مدة قصيرة جاء الأنكاليميفا إلى السياج، وجلب معه قليلاً من العسل. دعا حارس البوابة لأكل العسل، وبينما يستمتع الكلب بالأكل ذهب الأنكاليميفا وسرق كل الشحم. ورمى حجراً على الكلب صائد الفئران، وجعله يرفع نظره.

صاح الكلب صائد الفئران: «الشحم العائد لجميع الحيوانات قد أكله الأنكاليميفا».

ما إن سمع قوم الحيوانات الصياح، حتى تراكضوا نحو السياج وقتلوا الكلب صائد الفئران.

وضعوا الشحم في داخل السياج للمرة الثالثة، وعينوا بقر الوحش (impunzi) حارساً للبوابة. وافق بقر الوحش، وذهب الجميع. بعد مدة قصيرة عاود الأنكاليميفا الظهور. اقترح على بقر الوحش أن يلعبا الغميضة، فوافق. اختبأ الأنكاليميفا، وظل بقر الوحش يبحث عنه حتى تعب وتمدد ونام. فأكل الأنكاليميفا جميع الشحم.

ثم رمى حجراً على بقر الوحش، مما جعله يقفز ويصيح: «الشحم العائد لجميع الحيوانات قد أكله الأنكاليميفا».

ما إن سمعت الحيوانات الصرخة حتى تراكضوا إلى السياج وقتلوا بقر الوحش.

وضعوا شحماً في داخل السياج للمرة الرابعة، وعينوا الظبي (inputi) حارساً للبوابة. وحين ذهبت الحيوانات جاء الأنكاليميفا مثل السابق.

قال: «ماذا تفعل هنا لوحدك؟».

رد الظبي: «أنا أحرس الشحم العائد لكل الحيوانات».

قال الأنكاليميفا: «سوف أكون صديقك، هيا، ليحك أحدنا رأس الآخر».

وافق الظبي على هذا. جلس الأنكاليميفا وحك شعر الآخر حتى أغفى. فنهض وأكل كل الشحم. حين انتهى، رمى حجراً على الظبي وأيقظه.

رأى الظبي ما حدث فصاح: «الشحم العائد لجميع الحيوانات قد أكله الأنكاليميفا».

تراكضت الحيوانات وقتلت الظبي أيضاً.

وضعوا شحماً في داخل السياج للمرة الخامسة وعينوا

الشيهم[1] (incanda) حارساً للبوابة. ذهبت الحيوانات، وجاء أنكاليميفا مثل المرات السابقة.

قال للشيهم: «لنتسابق مع بعضنا».

ترك الشيهم يغلبه في هذا السباق.

ثم قال: «لم أتصور أن بإمكانك الركض بهذه السرعة، لكن لنحاول مرة أخرى». ركضا مرة أخرى، ومرة أخرى ترك الشيهم يسبقه للمرة الثانية. ركضا حتى أصاب التعب الشيهم فقال: «لنسترح الآن».

جلسا ليستريحا، فنام الشيهم. عندها نهض أنكاليميفا وأكل الشحم كله. حين انتهى من الأكل، رمى حجراً على الشيهم، مما جعله يقفز واقفاً.

نادى بصوت مرتفع: «الشحم العائد لجميع الحيوانات قد أكله أنكاليميفا».

جاءت الحيوانات تتراكض وقتلوا الشيهم.

وضعوا شحماً في داخل السياج للمرة السادسة، واختاروا الأرنب البري (umvundla) ليكون حارساً للبوابة. لم يوافق

(1) أو النيص، حيوان من القوارض (م).

الأرنب البري في البداية.

قال: «مات الأرنب والكلب صائد الفئران قد مات، وبقر الوحش والظبي والشيهم، وسوف تقتلونني أنا الآخر».

وعدوا ألا يقتلوه، وبعد جولة ثانية من الإقناع وافق أخيراً على حراسة البوابة. حين ذهبت الحيوانات تمدد، لكنه اكتفى بأن يتظاهر بالنوم.

بعد مدة قصيرة دخل أنكاليميفا، وكان على وشك أن يأخذ الشحم حين صاح الأرنب البري: «دع الشحم».

قال أنكاليميفا: «أرجوك دعني آخذ قليلاً منه فقط».

رد الأرنب البري ساخراً: «أرجوك دعني آخذ قليلاً منه فقط».

بعد ذلك صارا صديقين. اقترح الأرنب البري أن يعقد كل منهما ذيل الآخر، فقوافق أنكاليميفا. عقد أنكاليميفا ذيل الأرنب أولاً.

قال الأرنب البري: «لا تعقد ذيلي بهذه الشدة».

ثم عقد الأرنب البري ذيل أنكاليميفا.

قال أنكاليميفا: «لا تعقد ذيلي بهذه الشدة»، لكن الأرنب البري لم يرد عليه. بعد أن أحكم عقد ذيل أنكاليميفا، تناول الأرنب البري هراوته وقتله. أخذ الأرنب البري ذيل أنكاليميفا وأكله كله باستثناء قطعة صغيرة أخفاها في السياج.

ثم نادى: «الشحم العائد لجميع الحيوانات قد أكله أنكاليميفا».

جاءت الحيوانات تتراكض عائدةً، وحين رأوا أنكاليميفا ميتاً ملأتهم نشوة الفرح العظيم. طلبوا من الأرنب البري الذيل، لكي يحتفظوا به للزعيم.

رد الأرنب البري: «لم يكن لمن قتلته ذيل».

قالوا: «كيف يمكن أن يكون أنكاليميفا من دون ذيل؟».

بدأوا البحث، وبعد مدة عثروا على الذيل عند السياج. أخبروا الزعيم أن الأرنب البري قد أكل الذيل.

قال، «اجلبوه لي!».

ركضت جميع الحيوانات وراء الأرنب البري، غير أنه هرب ولم يستطيعوا القبض عليه لأنه التجأ إلى جحر. وضعت

الحيوانات كميناً عند مدخله، ثم غادروا. بقي الأرنب البري في الجحر عدة أيام، لكنه في النهاية استطاع الخروج من دون أن يمسك به.

ذهب إلى مكانٍ ما حيث وجد بقر وحش (imbabala) يبني كوخاً، رأى إناءً فيه لحم على النار.

قال لبقر الوحش: «هل يمكنني أخذ هذه القطعة الصغيرة من اللحم؟».

رد بقر الوحش: «لا يجب أن تفعل».

لكنه أخذ اللحم وأكله كله. بعدها صفر بطريقة معينة، فتساقط البَرَد بشدة من السماء وقتل بقر الوحش. فأخذ جلده، وصنع منه لنفسه رداء.

بعد ذلك ذهب الأرنب البري إلى الغابة للحصول على بعض الأسلحة ليحارب بها. وبينما يقطع لنفسه عصا رمت القرود عليه الأغصان. ناداهم لينزلوا إليه ويضربوه، فنزلوا، لكنه قتلهم جميعاً بما لديه من أسلحة.

الرجل الأبيض والحية

قيل إن الرجل الأبيض قابل حيةً سقطت عليها صخرة كبيرة وغطتها بالكامل حتى لم تستطع حراكاً. رفع الرجل الأبيض الصخرة عن الحية، لكن حين فعل ذلك، أرادت الحية أن تلدغه. فقال لها: «مهلاً! لم لا نسأل أولاً بعض الحكماء في الأمر».

ذهبا إلى الضبع، وسأله الرجل الأبيض: «هل يصح أن ترغب الحية في لدغي، في حين حررتها من الصخرة؟».

تصوّر الضبع أنه سيحصل على حصةٍ من جسد الرجل الأبيض فقال: «وما العيب في أن تلدغك؟».

تهيأت الحية للدغه، لكن الرجل الأبيض قال من جديد: «انتظري لحظة، ودعينا نذهب إلى حكيم غيره، لكي نتأكد منهم إن كان ذلك صحيحاً».

ذهبا إلى ابن آوى. فسأله الرجل الأبيض: «أيصح أن ترغب الحية في لدغي، بعد أن خلصتها من الصخرة التي كانت ترزح تحتها؟».

رد ابن آوى: «لا أعتقد أن الصخرة يمكن أن تغطي الحية فلا تستطيع الخروج. وإن لم أرَ بعيني ذلك، لا يمكنني التصديق. لهذا فلنذهب ونر المكان الذي قلت إن ذلك حدث فيه».

ذهبوا، ووصلوا إلى المكان حيث حدث الأمر. قال ابن آوى: «أيتها الحية، تمددي أرضاً».

فعلت الحية ذلك، وغطاها الرجل الأبيض بالصخرة، لكن بالرغم من بذل كل جهدها، عجزت عن النهوض. ثم أراد الرجل الأبيض تحرير الحية من جديد، لكن ابن آوى تدخل، وقال: «لا ترفع الصخرة. لقد أرادت لدغك، بالتالي دعها تنهض بنفسها».

وذهبا مبتعدين وتركا الحية تحت الصخرة.

صيغة أخرى من الحكاية نفسها

كان رجل هولندي يسير وحيداً فرأى حيةً تحت صخرة كبيرة. توسلت إليه الحية أن يساعدها، لكن ما إن تحررت، حتى قالت: «الآن سوف ألدغك».

رد الرجل: «هذا لا يصح، فلنسأل أولاً الأرنب البري مشورته».

حين سمع الأرنب البري القضية، قال: «يصح ذلك».

قال الرجل: «كلا، فلنسأل الضبع».

فجاء رأي الضبع مماثلاً، إذ قال: «يصح ذلك».

فقال الرجل يائساً: «أخيراً، فلنسأل ابن آوى».

بعد طول تأمل، وقد شك بالأمر كله، طالب ابن آوى بمعاينة المكان أولاً، لكي يتأكد من أن الرجل قادر بالفعل على رفع الصخرة. تمددت الحية، ولكي يثبت الرجل صحة أقواله، عاود وضع الصخرة فوقها.

وحين فعل، قال ابن آوى: «الآن دعها هناك».

أكل سحابة

كان ابن آوى والضبع معاً، كما قيل، حين نشأت سحابة بيضاء. قفز ابن آوى عليها، وأكل منها كأنها شحم. وحين أراد الهبوط، قال لأم عامر[1]: «أختاه، بما أننا سنتقاسمها معاً، أمسكي بي جيداً». فأمسكت به، وحدّت من شدة سقوطه. ثم مضت بدورها وصعدت عالياً إلى السحابة وراحت تأكل هناك.

وحين اكتفت، قالت: «يا أخي الرمادي، الآن أمسك بي جيداً».

قال الوغد الرمادي لصديقته: «أختاه، سوف أمسك بك جيداً. هيا اهبطي».

مد يديه، فهبطت من السحابة، وحين اقتربت، صاح ابن آوى (وهو يقفز متألماً إلى جانب)، «أختاه، لا تسيئي فهمي. آووه! أووه! نخزتني شوكة ولا تزال مغروزة فيّ». هكذا سقطت أن عامر من أعلى، وأصيبت بأذى شديد.

منذ ذلك اليوم، قيل أن القائمتين الخلفيتين للضبع أقصر وأصغر من القائمتين الأماميتين.

---

(1) من أسماء الضبع، نستعملها انسجاماً مع صيغة تأنيث الضبع في الأصل (م).

مرض الأسد

قيل، كان الأسد مريضاً، وذهب الجميع لعيادته. لكن ابن آوى لم يذهب، لأنه لم يرَ آثار أقدام أولئك الذين ذهبوا لعيادته وهي عائدةً. بالتالي اتهمه الضبع، قائلاً: «مع أنني ذهبت لمقابلته هذا الشأن، لكن ابن آوى لم يرغب بالمجيء ليرى معاناة الرجل».

سمح الأسد للضبع بأن يقبض على ابن آوى ويجبره على المثول أمامه، وهذا ما فعله.

سأل الأسد ابن آوى: «لماذا لم تأت لعيادتي؟».

قال ابن آوى: «أوه، كلا! حين سمعت أن عمي مريض جداً، ذهبت إلى الساحر (الطبيب) لاستشارته، ولأعرف منه الدواء الذي يفيد عمي ويخلصه من ألمه. فقال لي الطبيب، اذهب وقل لعمك أن يمسك بالضبع ويسلخ جلده، ويضعه عليه لكي يظل دافئاً. عند ذاك سوف يشفى. فالضبع لا تهمه معاناة عمي».

اتبع الأسد النصيحة، وأمسك بالضبع، وسلخ جلده حتى أذنيه، في حين ظل الضبع يصرخ بكل قوته. ثم ارتداه الأسد.

ابن آوى والحمامة ومالك الحزين

قيل إن ابن آوى جاء مرةً إلى الحمامة، التي تعيش على قمة صخرة، وقال: «أعطيني أحد صغارك».

ردت الحمامة: «لن أفعل شيئاً مثل هذا».

قال ابن آوى: «أعطيني إياه فوراً! وإلا طرت نحوك». فرمت له واحداً.

وعاد في يومٍ آخر وطالب بأحد الصغار، فاعطته إياه. بعد ذهاب ابن آوى، جاء مالك الحزين وسألها: «لماذا تبكين أيتها الحمامة؟».

ردت الحمامة: «أخذ ابن آوى صغاري. لهذا السبب أبكي».

سألها: «كيف أخذها؟».

ردت عليه: «حين طلب مني رفضت طلبه، لكن حين قال سوف أطير على الفور، إن لم تعطني إياها، رميتها له».

قال مالك الحزين: «هل أنت حمقاء إلى هذا الحدّ لتعطي صغارك لابن آوى، الذي لا يستطيع الطيران؟». وبهذين اللوم والنصيحة غادرها.

عاد ابن آوى من جديد، وقال: «يا حمامة، أعطيني واحداً من صغارك». فرفضت الحمامة، وأخبرته أن مالك الحزين أخبرها أنه لا يستطيع الطيران. قال ابن آوى: «سوف أمسك به».

لهذا حين جاء مالك الحزين إلى ضفة الماء، سأله ابن آوى: «أخي يا مالك الحزين، حين تهب الريح من هذا الجانب، كيف تقف؟».

أدار مالك الحزين رأسه نحوه وقال: «أقف هكذا، محنياً رقبتي إلى جانب».

سأله ابن آوى مرة أخرى: «وحين تهبّ العاصفة ويهطل المطر، كيف تقف؟».

قال له: «أقف هكذا، بالتأكيد أحني رقبتي».

فضربه ابن آوى على رقبته، وكسرها في وسطها.

منذ ذلك اليوم، ظلت رقبة مالك الحزين محنيةً.

الديك وابن آوى

قيل إنه ذات يوم مرّ ابن آوى بالديك وأمسك به.

قال الديك لابن آوى: «أرجوك، صلّ أولاً (قبل أن تقتلني) مثلما يفعل الرجل الأبيض».

سأل ابن آوى: «وبأي طريقة يصلي؟ قل لي».

قال الديك: «يشبك يديه للصلاة».

فشبك ابن آوى يديه وصلى.

ثم تحدث الديك من جديد: «يجب ألا تنظر حولك حين تفعل. بل من الأفضل أن تغمض عينيك». وهكذا فعل، فطار الديك مبتعداً، وهو يوبخ ابن آوى في الوقت نفسه: «أيها الوغد، وهل يعرف من هو مثلك أنت الصلاة؟».

هكذا جلس ابن آوى مندهشاً، فاغر الفاه، إذ غلبه أحدٌ ما.

الفيل والسلحفاة

تشاجرت قوتان: الفيل والمطر.

قال الفيل: «إن قلتَ إنك تغذيني، فبأي طريقة تفعل ذلك؟».

رد المطر: «إن قلتَ إني لا أغذيك، لكن حين أبتعد، ألن تموت؟»، وغادر المطر.

قال الفيل: «أيها النسر. ألق التعويذة لتصنع لي مطراً».

قال النسر: «لن ألقي التعويذة».[1]

ثم قال الفيل للغراب: «ألق التعويذة».

فرد عليه: «أعطني ما أريد لكي ألقي التعويذة».

فأعطاه ما يريد، وألقى الغراب التعويذة وهطل المطر.

(1) من المعتقدات القديمة لدى الشعوب أن المطر يهطل إذا ألقيت تعاويذ سحرية معينة (م).

أمطرت على البحيرات، لكنها سرعان ما جفت، و لم تبق إلا بحيرة واحدة.

ذهب الفيل للصيد. وقبل أن يذهب قال للسلحفاة: «أيتها السلحفاة، ابقي عند الماء».

فبقيت السلحفاة بعد ذهاب الفيل للصيد.

جاءت الزرافة، وقالت للسلحفاة: «أعطيني بعض الماء!».

فردّت السلحفاة: «الماء ملك الفيل».

ثم جاء غميسبوك[1]، وقال للسلحفاة: «أعطيني بعض الماء!».

فردّت السلحفاة: «الماء ملك الفيل».

ثم جاء النّو[2] وقال: «أعطيني بعض الماء!».

فقالت السلحفاة: «الماء ملك الفيل».

ثم جاء روودبوك[3]، وقال للسلحفاة: «أعطيني بعض الماء!».

---

(1) نوع من بقر الوحش (م).
(2) أو الثّيتل حيوان أفريقي له رأس شبيه برأس الثور (م).
(3) نوع من الأيل الأفريقي الضخم (م).

فردّت السلحفاة: «الماء ملك الفيل».

ثم جاء سبرنغبوك[1]، وقال للسلحفاة: «أعطيني بعض الماء!».

فقالت السلحفاة: «الماء ملك الفيل».

ثم جاء ابن آوى، وقال للسلحفاة: «أعطيني بعض الماء!».

فقالت السلحفاة»: الماء ملك الفيل».

ثم جاء الأسد، وقال: «أيتها السلحفاة الصغيرة، أعطيني بعض المأء!».

حين أوشكت السلحفاة أن تقول شيئاً، أمسك بها الأسد وضربها، وشرب الماء، ومنذ ذلك الحين تشرب كل الحيوانات الماء.

حين عاد الفيل من الصيد، قال: «أيتها السلحفاة الصغيرة، هل يوجد ماء؟».

ردّت السلحفاة، «لقد شربت الحيوانات الماء».

(1) نوع من الغزلان الأفريقية (م).

سأل الفيل: «أيتها السلحفاة الصغيرة، هل أمضغك أو أبتلعك؟».

قالت السلحفاة الصغيرة: «ابتلعني من فضلك!». فابتلعها الفيل بأكملها.

بعد أن ابتلع الفيل السلحفاة الصغيرة، ودخلت في جسمه، مزقت كبده وقلبه وكليتيه.

قال الفيل: «أيتها السلحفاة الصغيرة، إنك تقتلينني».

هكذا مات الفيل، لكن السلحفاة الصغيرة خرجت من جسده، وذهبت إلى حيث تريد.

صيغة أخرى من الحكاية نفسها

قيل إن الزرافة والسلحفاة التقتا في أحد الأيام.

قالت الزرافة للسلحفاة: «سوف أدوسك حتى الموت».

خافت السلحفاة، فظلت صامتةً.

ثم قالت الزرافة: «أو سوف أبتلعك على التو».

ردت السلحفاة على ذلك: «حسناً، أنا أنتمي إلى عائلة جرت العادة أن يتم ابتلاعها».

فابتلعت الزرافة السلحفاة، لكن هذه الأخيرة، بعد أن تم التهامها، علقت ببلعوم الزرافة، وإذ لم تستطع هذه أن تهضمها، فقد اختنقت حتى الموت.

حين ماتت الزرافة، زحفت السلحفاة خارجاً وذهبت إلى سرطان البحر (الذي يعد بمثابة أم السلحفاة) وأخبرتها بما حدث. قالت سرطان البحر:

«أيها السرطان الصغير! يمكنني أن أرش تحت ذراعيك[1]

يا صاحب السيقان المنحنية، يمكنني أن أرش تحت ذراعيك»

ردت السلحفاة على أمها بالقول:

«ألم تعتادي على رشي على الدوام،

وتريدين رشي الآن؟».

ذهبتا وظلتا تتغذيان طوال العام على بقايا الزرافة.

(1) إشارة استحسان حسب تقاليد الهوتنتوت (المؤلف).

السلحفاة تصطاد النعام

قيل، في يوم من الأيام، عقدت السلاحف اجتماعاً لتتدارس كيف يمكنهن صيد النعام، وقلن: «فلنقف على الجانبين في صفوف متراصة، وتذهب واحدة لصيد النعام، فيضطر إلى الهرب فيمر من وسطنا».

وهذا ما فعلوا، ولكون أعدادهم كبيرة، اضطر النعام إلى الركض في وسطهم.

إبان كل ذلك، لم يتحركن، بل بقين ثابتات في أماكنهن، تنادي إحداهن الأخرى: «هل أنت هنا؟»، فترد الأخرى: «أنا هنا».

ويسمع النعام ذلك، فيزداد ركضاً حتى استنفدوا قواهم، وسقطوا أرضاً. فتجمعت السلاحف حيث سقط النعام وقامت بالتهامها.

حكم قرد البابون

قيل، في يومٍ ما، حدثت الحكاية الآتية:

قرض الفأر ملابس «إيتكلار» (الخياط)، فذهب إلى قرد البابون، واتهم الفأر بهذه الكلمات:

«أتيت إليك بهذا: قرض الفأر ملابسي، لكنه لم يعترف بشيء من ذلك واتهم القط، فاحتج القط ببراءته وقال: لابد من أن الكلب هو الفاعل، لكن الكلب أنكر أيضاً، وصرح أن الخشب هو من فعلها، ورمى الخشب اللوم على النار، وقال: النار فعلتها، وقالت النار: أنا لم أفعلها، بل الماء هو الفاعل، وقال الماء: الفيل قرض الملابس، وردّ الفيل: النمل قرضها. وهكذا تطور الخلاف بينهم. بالتالي، جئت إليك، أنا الخياط، بهذا الاقتراح: اجمع هؤلاء وحاكمهم لكي أنال حقي».

وهكذا حدث، فقام البابون بجمعهم للمحاكمة. فقدموا الأعذار نفسها التي ذكرها الخياط، وراح كلٌّ منهم ينحي باللائمة على الآخر.

لهذا لم يجد البابون طريقة لمعاقبتهم، سوى أن يجعلهم يعاقبون بعضهم بعضاً: هكذا قال:

«أيها الفأر، أعط الخياط حقه».

لكن الفأر دافع عن نفسه بالقول إنه ليس مذنباً.

فقال البابون: «أيها القط، عض الفأر».

ثم طرح السؤال نفسه على القط، وحين دفع القط ببراءته، نادى البابون الكلب قائلاً: «هيا، عض القط».

بهذه الطريقة استجوبهم البابون جميعاً، واحداً بعد الآخر، لكن كل واحد منهم أنكر التهمة. ثم وجه الكلمات الآتية إليهم قائلاً:

«يا خشب، أضرب الكلب.

يا نار، أحرقي الخشب.

يا ماء، أطفئ النار.

يا فيل، اشرب الماء.

يا نمل، السع الفيل في أكثر مناطقة حساسية».

وفعل الجميع ما أمر به، ومنذ ذلك اليوم لا يمكنهم الاتفاق مع بعضهم بعض.

إذ يدخل النمل في المناطق الأكثر حساسية من جسم الفيل ويلسعه.

والفيل يبتلع الماء.

والماء يطفئ النار.

والنار تستهلك الخشب.

والخشب يضرب الكلب.

والكلب يعض القط.

والقط يعض الفأر.

هذا الحكم أرضى الخياط، فتحدث لقرد البابون قائلاً:

«نعم، الآن أشعر بالرضى، إذ نلت ما يرضيني، ومن كل قلبي أشكرك، يا قرد البابون، لأنك حققت العدالة من أجلي وأعطيتني حقوقي».

عندها قال البابون: «منذ هذا اليوم، لن أدعى جان، بل بابون سيكون اسمي».[1]

منذ ذلك الوقت يمشي البابون على قوائمه الأربع، إذ ربما فقد امتياز السير باستقامة بسبب حكمه الأحمق.

(1) يبدو من سياق الحكاية أن كلمة (جان) هي الاسم الأصلي لقرد البابون باللغة الأفريقية، وتعني (المستقيم) وكان البابون يسير على قدميه باستقامة قبل هذه الحكاية. بعدها قرر تغيير اسمه إلى (بابون) ويبدو أن لها معنى مزدوج باللغات الأفريقية وهو (الحكيم) و(السائر على أربع قوائم). بهذا صار قرد البابون يسير على أربع بعد هذه الحكاية (م).

الأسد وقرد البابون

قيل، كان البابون يعمل بالخيزران، جالساً على حافة منحدر شاهق، وتسلل الأسد وراءه. لكن البابون كان قد وضع صحنين دائريين لامعين يشبهان العينين في قفا رأسه. بالتالي، حين يتسلل الأسد وراءه، يتصور أن البابون ينظر إليه، فيتوقف. وحين يدير له وجهه، يتسلل الأسد نحوه بكل قدرته. وحين يدير البابون ظهره إليه، يتصور الأسد أنه قد رآه، فيختبئ. هكذا، حين ينظر البابون نحوه، يزحف مقترباً منه. وحين أصبح قريباً منه رفع البابون بصره إلى أعلى، وظل الأسد يزحف مقترباً. قال البابون في نفسه: «حين أنظر إليه يتسلل نحوي، في حين تكون عيني الزائفتين عليه».

أخيراً هجم الأسد عليه، فأسرع بالتمدد على وجهه أرضاً، فقفز الأسد من فوقه، وسقط في الهاوية، وتقطّع إرباً.

حمار الوحش

قيل، كان البابون معتاداً على إزعاج حمير الوحش أثناء شرب الماء. لكن إحدى إناث حمير الوحش أصبحت أماً لمهر. وقد ساعدتها الأخريات لإرضاع صغيرها، لكي ينمو سريعاً.

حين نما واحتاجوا إلى الماء، كان يرافقهم إلى الماء. رأت قرود البابون ذلك، فجاءت، مثلما اعتادت أن تفعل في السابق، فاعترضت طريقهم، ومنعتهم من الوصول إلى الماء.

وفي حين توقفت حمير الوحش، تقدم المهر الفحل وتحدث إلى إحدى قردة البابون: «أنت أيها الطفل آكل الصمغ!».

قال البابون للفحل: «أرجو أن تفتح فمك، لكي أرى علام تعيش».

فتح الفحل فمه، وكان حليبياً.

ثم قال الفحل للبابون: «أرجو أن تفتح فمك أيضاً، لكي أرى».

فعل البابون ذلك، وكان فيه صمغ. لكن البابون سارع ولحس بعض الحليب من لسان الفحل. وهذا ما أغضب الفحل، فأمسك بكتفي البابون ودفعه وضغط بظهره على صخرةٍ ساخنة. منذ ذلك اليوم وللبابون بقعة صلعاء على ظهره.

قال البابون، متباكياً: «أنا، ابن أمي، آكل الصمغ، تغلّب علي آكل الحليب!».

الأسد الطائر

قيل، إن الأسد كان يطير، وآنذاك لم يستطع أحد أن يتعايش مع وجوده. ولأنه لم يرغب بكسر عظام ما يصيده إلى قطع جعل زوجاً من الغربان البيض يحرسون العظام، فيتركها في المزرعة حين يذهب للصيد. لكن في أحد الأيام جاء الضفدع العظيم، وكسر العظام إلى قطع عديدة، وقال: «لماذا لا يعيش الرجال والحيوانات حياة أطول؟». وأضاف هذه الكلمات: «حين يأتي، أخبروه أني أعيش في تلك البركة، إن أراد رؤيتي، فعليه أن يأتي إليّ».

تمدد الأسد منتظراً (الطريدة)، أراد أن يطير، لكنه وجد أنه لا يستطيع فغضب، وتصور أن ثمة خطباً ما في المزرعة، فعاد إلى دياره. حين وصل، سأل: «ماذا فعلتم حتى لم أعد قادراً على الطيران؟» ردوا عليه بالقول: «جاء أحد ما هنا، وكسر العظام إلى قطع وقال: إن أرادني، يمكنه البحث عني في تلك البركة!».

ذهب الأسد، ووصل حين كان الضفدع جالساً على حافة الماء، وحاول التسلل خفية إليه. حين أوشك على الإمساك به، قال الضفدع: «هووا»، وغطس، وذهب إلى الضفة الأخرى من البركة، وجلس هناك. لحقه الأسد، وبما أنه لم يستطع الإمساك به، فقد عاد إلى داره.

قيل، منذ ذلك اليوم، يسير الأسد على أقدامه، كما بدأ يزحف (إلى طرائده)، وأصبحت الغربان البيض بكماء تماماً منذ اليوم الذي قالت فيه: «لا شيء يمكن قوله حول هذا الأمر».

حين تصوّر الأسد نفسه أكثر حكمة من أمه

قيل إن الأسد و«غوريكهوسي» (الإنسان الوحيد) وقرد البابون والجاموس وغيرهم من الأصدقاء، كانوا يلعبون في أحد الأيام لعبة معينة، فهبّت عاصفة رعدية وهطل المطر في آروكسامز. بدأ الأسد و«غوريكهوسي» بالشجار. قال الأسد: «سوف أركض إلى حقل المطر». كذلك قال الإنسان: «سوف أركض إلى حقل المطر».

وبما أن أحداً منهما لم يقبل التنازل للآخر، انفصلا (بغضب).

بعد انفصالهما، ذهب الأسد ليخبر أمه بما قاله كل منهما.

قالت له أمه، «يا ولدي! غوريكهوسي هذا يرفع رأسه مستقيماً مع كتفيه وصدره، ولديه أسلحة جارحة، ويحتفظ بكلاب بيض، ويسير مرتدياً خصلاً من ذيل النمر، فاحذر منه!».

لكن الأسد قال: «لماذا يجب عليّ الحذر ممن أعرفهم؟».

ردت اللبوة: «يا ولدي، خذ حذرك ممن لديه أسلحة جارحة!».

لكن الأسد لم يتبع نصيحة أمه، وفي اليوم نفسه، والوقت لا يزال مظلماً، ذهب إلى آروكسامز، ونصب كميناً. كذلك ذهب الرجل إلى المكان نفسه في الوقت نفسه. ما إن وصل حتى أرسل كلابه لتشرب، ثم تستحم. بعد أن انتهت راحت تتمرّغ بالماء لاهية. ثم شرب الإنسان، وحين انتهى من الشرب، خرج الأسد من الأدغال. أحاطت به الكلاب، مثلما قالت له أمه مسبقاً، ورماه الإنسان بالرماح. وما كاد يدرك أن الرماح أصابته، حتى أسقطته الكلاب أرضاً مرة أخرى. فأغمي عليه. وحين كان على هذه الحال، قال الإنسان للكلاب: «دعوه وشأنه الآن، لكي يستطيع العودة ويتعلم من أمه».

لهذا تركته الكلاب وشأنه وعادت إلى ديارها، وظل هو ممدداً في مكانه. في الليلة نفسها سار عائداً إلى داره، وإبان عودته خانته قواه، فناح قائلاً:

«أمي! خذيني إليك!

جدتي! خذيني إليك! أواه! وا أسفاه!»

عند الفجر سمعت أمه نواحه، فقالت:

«يا ولدي، هذا ما أخبرتك به:

احذر ممن لديه سلاحاً جارحاً،

يرتدي خصلاً من ذيل النمر،

من لديه كلاب بيض!

للأسف! يا ابن ذوات الآذان القصيرة،

يا، طفلي يا قصير الأذنين!

يا ابن من تأكل اللحم النيء،

يا آكل اللحم الطازج،

يا ابن من طرف أنفها أحمر من طرائدها،

يا من طرف أنفه ملطخ بالدماء!

يا ابن من تشرب ماء البئر،

يا شارب الماء!».

حين اتخذ الأسد هيئة امرأة

قيل إن بعض النساء خرجن بحثاً عن الجذور والأعشاب وغيرها من الأطعمة البرية. في طريقهن إلى ديارهن جلسن وقلن: «لنتذوق طعام الحقل». وجدن أن طعام إحداهن حلو المذاق، في حين أن طعم غيره مر. قالت واحدة للأخرى: «انظري! أعشاب هذه المرأة حلوة الطعم». وشعرن بالغيرة منها، فقلن لمالكة الطعام الحلو: «ارميه وابحثي عن غيره». فرمت الطعام، وذهبت لجمع المزيد. حين جمعت ما يكفي من المؤنة، عادت لتلتحق ببقية النسوة، لكنها لم تستطع العثور عليهن. بالتالي ذهبت إلى النهر، حيث وجدت الأرنب البري جالساً يغرف الماء، وقالت له: «أيها الأرنب البري، أعطني بعض الماء لأشرب». لكنه رد عليها: «هذا قدحٌ يشرب منه عمي (الأسد) وأنا فقط».

كررت الطلب: «أيها الأرنب البري، اغرف لي بعض الماء لأشرب». لكنه كرر الرد نفسه. فانتزعت منه القدح وشربت، لكنه ركض إلى داره وأخبر عمه بهذا الانتهاك الفاضح.

في هذه الأثناء أعادت المرأة القدح وذهبت في طريقها. بعد

مغادرتها جاء الأسد، ورآها عن بعد، ولحقها على الطريق. حين استدارت ورأته قادماً، غنت كالآتي:

«أمي لا تسمح لي بالبحث عن الأعشاب،

أعشاب الحقل، طعام من الحقل... هووا!»

أخيراً وصل الأسد إلى المرأة، فطاردها وطاردته حول الشجيرات. كانت تضع العديد من الأساور والأحجار، فقال لها الأسد: «دعيني أضعها!». فسمحت له باستعارتها، لكنه بعد ذلك رفض إعادتها إليها.

ثم طاردها وطاردته حول الشجيرات مرة أخرى، حتى سقط الأسد، وقفزت المرأة عليه، وأبقته في مكانه. قال الأسد:

«يا عمتي! حل الصباح، وآن أوان النهوض،

أرجوك، قومي عني!».

فنهضت عنه، وطاردها وطاردته من جديد حول الشجيرات، حتى سقطت المرأة، وقفز الأسد فوقها. فقالت له:

«يا عمي! حل الصباح، وآن أوان النهوض،

ارجوك، قم عني!».

فنهض عنها، بالطبع، وطاردها وطاردته من جديد، حتى سقط الأسد للمرة الثانية. حين قفزت فوقه قال:

«يا عمتي! حل الصباح، وآن أوان النهوض،

أرجوك، قومي عني!».

نهضا مرة أخرى وطاردها وطاردته. أخيراً سقطت المرأة. لكن في هذه المرة حين كررت القول السابق، قال الأسد:

«هي! لقد حل الصباح، هل آن أوان النهوض؟».

ثم أكلها، وبذل جهده للإبقاء على جلدها كاملاً، ثم ارتداه، مع ثوبها وزينتها، حتى صار مظهره بشبه مظهر النساء تماماً، ثم ذهب إلى بيتها في المزرعة.

حين وصلت المرأة المزيفة، صاحت أختها الصغرى باكيةً: «يا أختي، اسكبي لي بعض الحليب». ردت: «لن أسكب لك شيئاً». ثم قالت الصغيرة لأمهما: «ماما، اسكبي لي بعضاً منه». قالت الأم المزرعة: «اذهبي إلى أختك، ودعيها تعطيه لك!». مرةً أخرى قالت الطفلة الصغيرة لأختها: «أرجوك، اسكبي لي قليلاً منه!». لكن هذه كررت رفضها، وقالت: «لن أفعل». فقالت

الأم للصغيرة: «رفضتُ السماح لها (الأخت الكبرى) بالبحث عن الأعشاب في الحقل، ولا أدري ما الذي حدث، لهذا اذهبي إلى الأرنب البري، واطلبي منه أن يسكب لك»[1].

هكذا أعطاها الأرنب البري بعض الحليب، لكن أختها الكبرى قالت: «تعالي وشاركيني به». فذهبت الطفلة الصغيرة إلى أختها بقدحها (من الخيزران) ومصت كلاهما الحليب منه. بينما تفعلان ذلك، انسكب بعض الحليب على يد الصغيرة، فلعقته الأخت الكبرى بلسانها الخشن مما أسال الدم، وهذا بدوره لعقته المرأة المزيفة.

اشتكت الطفلة الصغيرة لأمها: «أماه، وخزتني أختي وجرحتني ثم امتصت الدم». قالت الأم: «لا أعرف بأي طريق ذهبت أختك وجعلها بطبيعة الأسد، وهذا هو ما نهيتها عنه».

والآن وصلت البقرات فنظفت الأخت الكبرى الدلاء لكي تحلبها. لكن حين اقتربت من البقرات مع الحبل (لكي تربط قوائمها الخلفية) رفضت جميعها أن تحلبها.

(1) لأن الأرنب البري في هذه الحكاية هو زوج الأخت (م).

قال الأرنب البري: «لماذا لا تقفين أمام البقرة؟» ردت: «أيها الأرنب البري، ناد أخاك، وقفا معاً أمام البقرة». قال زوجها[1] «ماذا دهاها حتى ترفضها البقرات؟ فتلك هي البقرات نفسها التي اعتادت أن تحلبها». قالت الأم (أم المزرعة): «ماذا حدث هذا المساء؟ تلك هي بقرات اعتادت على الدوام على حلبها من دون مساعدة من أحد. ماذا أثر فيها لتعود إلى الدار امرأةً ذات طبيعة أسد؟».

ثم قالت الأبنة الكبرى لأمها: «لن أحلب البقرات». بهذه الكلمات جلست أرضاً. لهذا قالت الأم للأرنب البري: «اجلب لي أوعية الخيزران، لكي أحلبها. لا أدري ما حل بهذه الفتاة».

لهذا حلبت الأم البقرات، وحين فعلت ذلك، جلب الأرنب البري الخيزران إلى بيت زوجته الشابة، لكنها (الزوجة) لم تعطه (لزوحها) أي شيء ليأكله. وحين نامت ليلاً، رأوا بعضاً من شعر الأسد، يخرج من حيث انسل إلى جلد المرأة، فصاحوا: «مما لا شك فيه أن هذا مخلوق مختلف تماماً. لهذا السبب رفضت البقرات أن تحلبها».

عندها بدأ الناس في المزرعة بتهديم الكوخ الذي نام فيه

(1) الأرنب البري (م).

الأسد. حين رفعوا الحصير، قالوا (ناشدوه): «إن كنت تحبني، أيها الحصير، لا تصدر أي صوت».[1]

وقالوا للأعمدة (التي تسند الكوخ): «إن كنت تحبني، أيها العمود، لا تصدر صوتاً».

كذلك قالوا للخيزران وأغطية السرير بالطريقة نفسها.

هكذا وبالتدريج ومن دون أي نأمة أزالـوا الكوخ بكل محتوياته. ثم جمعوا حشائش جافة، ووضعوها فوق الأسد، وأشعلوها، قائلين: «إن كنت تحبيننا، أيتها النار، عليك أن تلتهبي عالياً، قبل وصولك إلى القلب».

اشتعلت النار حين اقتربت من القلب، فقفز قلب المرأة إلى الأرض. التقطته الأم (أم المزرعة)، ووضعته في صندوق.

قال الأسد، من موضعه في النار، مخاطباً الأم: «كم استمتعت بأكل ابنتك». ردت المرأة: «وأنت أيضاً صرت الآن في مكان مريح!».

(1) تعويذات تناشد الأشياء لكي تنفذ ما تريده الحيوانات (م).

والآن، صارت المـرأة تجلب الحليب من البقرات ذوات العجول، وتضعه في الصندوق حيث قلب ابنتها، فتزايد حجم الصندوق، وبدورها نمت الفتاة في داخله.

في أحد الأيام، حين كانت الأم ذاهبة لجمع الخشب، قالت للأرنب البري: «حين أعود يجب أن تكون قد جعلت كل شيء نظيفاً ومرتباً». لكن خلال غياب أمها، تسللت الفتاة من الصندوق، ورتبت كل ما في الكوخ، كما اعتادت أن تفعل في أيامها الغابرة، وقالت للأرنب البري: «حين تعود أمي وتسأل، من فعل هذه الأشياء؟ عليك أن تقول، أنا الأرنب البري، فعلتها». بعد أن أتمت عمل كل شيء، صعدت إلى الرف.

حين عادت الأم إلى المزرعة، قالت: «أيها الأرنب البري، من فعل كل هذا؟ يبدو كما كان حين كانت ابنتي تفعله؟».

أجاب الأرنب البري: «أنا فعلت كل شيء». لكن الأم لم تصدق، ونظرت في الصندوق. وحين رأته خالياً، فتشت الرف فعثرت على ابنتها. فاحتضنتها وقبلتها، ومنذ ذلك اليوم بقيت الفتاة مع أمها، تفعل كل شيء كما كانت حريصة على فعله في الأيام الغابرة، لكنها ظلت من دون زواج.

لماذا هناك خط أسود طويل على ظهر ابن آوى؟

قيل، في سالف الأزمان، كانت الشمس على الأرض، ورآها بعض الرجال المسافرين تجلس على الطريق، لكنهم ساروا في طريقهم غير آبهين. كان ابن آوى يلحقهم، فرآها جالسة، أيضاً، فذهب إليها وسألها: «أي طفل جميل تركه الرجال وراءهم؟». فحمل الشمس، ووضعها على ظهره. وحين أحرقته، قال: «انزلي»، وهز نفسه، لكن الشمس التصقت بظهره، وأحرقت ظهر ابن آوى حتى اسودّ منذ ذلك اليوم.

حصان لعنته الشمس

قيل، في سالف الأزمــان، كانت الشمس على الأرض، وأمسكت حصاناً لتركبه. لكنه عجز عن تحمل ثقلها، بهذا حل الثور محل الحصان، وحمل الشمس على ظهره. منذ ذلك الوقت وقعت لعنةٌ على الحصان، لأنه لم يستطع تحمل ثقل الشمس. فقالت له:

«منذ هذا اليوم سيحل يومٌ (محدد) تموت فيه.

تلك هي لعنتك، أن يحل عليك يومٌ (محدد) تموت فيه.

وستأكل ليلاً ونهاراً،

لكن رغبة قلبك لن تتحقق،

وسترعى حتى الصباح، وترعى حتى غروب الشمس.

ذلك هو الحكم الذي أصدرته عليك».

منذ ذلك اليوم، بدأ الوقت (المحدد) لموت الحصان.

هزيمة الأسد

قيل، في ذات يوم اجتمعت الحيوانات البرية عند الأسد. حين كان نائماً. أقنع ابن آوى الثعلب الصغير أن يجدلوا حبلاً من عضلات النعام لكي يمزحوا مع الأسد. أخذوا عضلات من النعام، وبرموها، وربطوا الحبل بذيل الأسد، وربطوا النهاية الأخـرى للحبل في شجيرة. حين استيقظ الأسد، ورأى أنه مربوط، غضب عضباً عارماً، ونادى الحيوانات للاجتماع. حين اجتمعوا، قال الأسد (مستخدماً تعويذته الخاصة):

«أي طفل نشأ من حب أمه وأبيه،

فصار حب أمه وأبيه، قد ربطني؟»

فرد الحيوان الذي وجه إليه السؤال:

«أنا الطفل الذي نشأ من حب أمي وأبي،

أنا من صرت حب أمي وأبي، لم أفعلها»

رد الجميع بالقول نفسه، لكنه حين سئل الثعلب الصغير، أجاب:

«أنا طفل حبي أمي وأبي،

أنا حب أمي وأبي، قد ربطتك!»

مزق الأسد الحبل المصنوع من العضلات، وركض وراء الثعلب الصغير. لكن ابن آوى قال:

«يا فتاي، يا ابن الثعلبة النحيلة، لن يُمسك بك قط».

هكذا هُزم الأسد في الركض من قبل الثعلب الصغير.

أصل الموت

قيل إن القمر أرسل ذات يوم حشرةً للبشر، قائلاً: «اذهبي إلى البشر، وقولي لهم: مثلما أموت، ومن الموت أعيش، هكذا ستموتون، ومن الموت ستعيشون».

أخذت الحشرة طريقها لإيصال الرسالة، وخلال الطريق سبقها الأرنب البري، الذي سألها: «بأي مهمة أنت مكلفة؟».

ردت الحشرة: «أرسلني القمر إلى البشر، لأخبرهم أنه مثلما يموت، ومن الموت يعيش، كذلك هم سيموتون، ومن الموت سيعيشون».

قال الأرنب البري: «بما أنك لا تحسنين الركض، دعيني أذهب بدلاً منك (لإيصال الرسالة)».

بهذه الكلمات انطلق راكضاً، وحين وصل إلى البشر، قال: «يقول لكم القمر، مثلما أموت، وبالموت أهلك، بالطريقة نفسها سوف تموتون، وتبلغون الفناء».

ثم عاد الأرنب البري إلى القمر، وأخبره بما قاله للبشر. وبخه القمر بغضب، قائلاً: «كيف تجرؤ أن تخبر الناس ما لم أقله؟».

مع هذه الكلمات، تناول قطعة خشب، وضربه على أنفه. منذ ذلك اليوم وأنف الأرنب مشقوق.

صيغة ثانية من الحكاية نفسها

يموت القمر، ثم يعود للحياة مرةً أخرى.

قال القمر للأرنب البري: «اذهب إلى البشر وقل لهم: مثلما أموت وأبعث للحياة من جديد، كذلك ستموتون وتبعثون للحياة من جديد».

ذهب الأرنب البري إلى البشر، وقال: «مثلما أموت ولا أبعث للحياة من جديد، سوف تموتون ولا تبعثون للحياة من جديد».

وحين عاد سأله القمر: «ماذا قلت لهم؟».

«أخبرتهم، مثلما أموت ولا أبعث للحياة من جديد، كذلك ستموتون ولا تبعثون للحياة من جديد».

قال القمر: «ماذا؟ أهذا ما قلته؟».

وأخذ عصا وضرب الأرنب البري على فمه، فصار مشقوقاً.

هرب الأرنب البري، ولا يزال هارباً.

صيغة ثالثة من الحكاية نفسها

ذات مرة أرسل القمر الأرنب البري إلى الأرض ليخبر البشر أنه مثلما يموت هو (القمر) ويبعث من جديد، كذلك يجب أن يموت البشر ويبعثوا من جديد. وبدلاً من أن يوصل هذه الرسالة مثلما أعطيت له، فإن الأرنب البري، سواء نسي الرسالة أو من باب المكر، أخبر البشر أنه مثلما القمر يبزغ ثم يموت، كذلك البشر سوف يموتون ولا يبعثون.

بعد عودة الأرنب البري إلى القمر، سأله إن كان قد أوصل الرسالة، وبعد أن سمع القمر بحقيقة ما حصل، غضب منه غضباً شديداً حتى أخذ فأساً ليشق رأسه، لكن الفأس لم تصل إلى هدفها، فوقعت على الشفة العليا للأرنب البري، وشقتها. من هنا نرى «شفة الأرنب» مشقوقة.

غضب الأرنب البري لتلقيه هذه المعاملة القاسية، رفع مخالبه وخدش وجه القمر، فالبقع السود التي نراها الآن على وجه القمر هي الجروح التي أصيب بها في ذلك اليوم.

صيغة رابعة من الحكاية نفسها

قيل إن القمر أراد إرسال رسالة للبشر، وقال الأرنب البري إنه سيأخذها لهم.

قال له القمر: «اركض إذن، وأخبر البشر أنه مثلما أموت ثم أتجدد، هكذا سوف يتجددون».

لكن الأرنب البري خدع البشر، وقال: «مثلما أموت وأهلك، كذلك أنتم».

صيغة الزلو من أسطورة «أصل الموت»

نهض الرب من كرسي العالم الروحي، بحسب تصور (الزولو) وخلق في البداية البشر، والحيوانات وجميع الأشياء. ثم أرسل الحرباء قائلاً: «اذهبي أيتها الحرباء، وأخبري البشر أنهم لن يموتوا».

ذهبت الحرباء، لكنها كانت تسير ببطء شديد، وتمهلت في الطريق لتأكل الأعشاب المسماة بوكويبزان.

حين غابت لمدة طويلة أرسل الرب السمندر[1] وراءها، وأمره أن يسرع ويخبر البشر أنهم يجب أن يموتوا. ذهب السمندر في طريقه حاملاً الرسالة، وسبق الحرباء، ووصل قبلها إلى حيث البشر، وأخبرهم أن عليهم أن يموتوا.

(1) حيوان من الضفدعيات (م).









ISBN 978-9948-01-320-4

